الحُرِّيَّة وَ.. اتِّخَاذ القَرَارِ

(الحُرِّيَّة) ... مَا أَجْمَلَهَا مِنْ كَلِمَةٍ!!!

هَذِهِ الكَلِمَةُ الجَمِيلَةُ (الحُرِّيَّة) .. وَالَّتِي هِيَ -عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ- صِنْوُ (الإِنْسَانِيَّةِ)؛ [وَهِيَ كَذَلِكَ]، وَهِيَ طَرِيقُ الإِبْدَاعِ .. وَالَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ أَجْلِهَا الثَّورَاتُ المُعَاصِرَةُ [أَيًّا كَانَتْ أَسْبَابُ أَصْحَابِهَا وَمُبَرِّرَاتُهُمْ، .. عَلَى صَوَابٍ فِي ذَلِكَ أَمْ عَلَى خَطَأٍ] .. تَحْتَاجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى أَنْ يَقِفَ أَمَامَهَا مُتَأَمِّلاً فِي: مَعْنَاهَا، وَحَقِيقَتِهَا، وَتَطْبِيقَاتِهَا.

فَمُنْذُ القِدَمِ؛ وَالإِنْسَانُ يُحَارِبُ وَيُنَاضِلُ وَيَدْفَعُ الغَالِي وَالنَّفِيسَ فِي سَبِيلِ حُرِّيَّتِهِ .. بَلْ وَيَدْفَعُ -فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ- حَيَاتَهُ ثَمَنًا لَهَا!

❁❁❁❁❁

فَـ(الحُرِّيَّة) تَمْنَحُكَ إِنْسَانِيَّتَكَ، تُشْعِرُكَ بِقِيمَتِكَ .. وَوُجُودِكَ .. وَأَنَّكَ كَائِنٌ لَكَ مَعْنًى فِي هَذِهِ الحَيَاةِ.

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ بِدَايَةُ التَّحَضُّرِ وَالتَّقَدُّمِ.

(الحُرِّيَّة) .. كَنْزٌ لاَ يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، وَمَنْ يَفْقِدُهَا يَفْقِدُ جَوْهَرَةَ سَعَادَتِهِ.

وَلاَزَالَتِ (الحُرِّيَّة) هَدَفًا وَسَعْيًا مَنْشُودًا لَدَى كَمٍّ هَائِلٍ مِنَ البَشَرِ فِي العَالَمِ .. وَلاَزَالَتِ (الحُرِّيَّة) أَمْرًا عَظِيمًا لَدَى الَّذِينَ يَفْقَهُونَ مَعَانِيهَا وَأَبْعَادَهَا.

(الحُرِّيَّة) .. حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الإِنْسَانِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَهْتَمَّ بِهَا.

(الحُرِّيَّة) .. شَمْسٌ تَجِبُ أَنْ تُشْرِقَ فى كُلِّ نَفْسٍ؛ فَمَنْ عَاشَ مَحْرُومًا مِنْهَا عَاشَ فى ظُلْمَةٍ حَالِكَةٍ.

(الحُرِّيَّة) .. شَجَرَةٌ يَجِبُ أَنْ لاَ تَمُوتَ؛ تُسْقَى مِنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ ..

وَأَصْبَحَتْ كَلِمَةُ (الحُرِّيَّة) تَعْنِي: الحَيَاةَ، وَالأَمَلَ، وَالسَّعَادَةَ ...

فَـ(الحُرِّيَّة) أَيْضًا إِحْدَى أَهَمِّ قَضَايَا الشُّعُوبِ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الأَوْتَارِ الَّتِي يَعْزِفُ عَلَيْهَا السِّيَاسِيُّونَ؛ فَالكُلُّ يَطْمَحُ لاسْتِقْلاَلِ بِلاَدِهِ، وَأَنْ يَكُونَ شَعْبُهُ حُرًّا في اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ لِمَصْلَحَةِ الشَّعْبِ أَوِ الجَمَاعَةِ أَوِ المُجْتَمَعِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ.

فَـ(الحُرِّيَّة) هِيَ سَبِيلُ تَحْقِيقِ العَدْلِ، وَإِزَالَةِ وَدَفْعِ الظُّلْمِ، وَمُمَارَسَةِ الحُقُوقِ الإِنْسَانِيَّةِ المَشْرُوعَةِ، ... فَالعَدَالَةُ الحَقَّةُ لاَ تَتَحَقَّقُ في ظِلِّ الاضْطِهَادِ وَالتَّكْبِيلِ وَحِرْمَانِ الحُقُوقِ وَمَنْعِ المُمَارَسَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَـ(الحُرِّيَّة) مُقَدِّمَةٌ أَسَاسِيَّةٌ لِدَفْعِ الظُّلْمِ وَإِزَالَتِهِ مِنَ المُجْتَمَعِ.

❁❁❁❁❁

فَهَلْ أَعْمَلْتَ ذِهْنَكَ في هَذِهِ الكَلِمَةِ ... (الحُرِّيَّة)؟ .. وَهَلْ تَعْرِفُ قِيمَتَهَا؟ ... وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِحَرَاسَتِهَا مَهْمَا كَلَّفَكَ ذَلِكَ؟ ..

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ أُسْلُوبَ الحَيَاةِ الَّذِي حَدَدَّتَهُ لِنَفْسِكَ عَنْ قَنَاعَةٍ فِعْلِيَّةٍ؟ وَهَلْ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ فِعْلاً؟ ..

وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لأَنْ تَتَصَدَّى لِلْمُسْتَعْبِدِ (لِغَيْرِهِ) -السَّالِبِ لِحُرِّيَّةِ غَيْرِهِ- حَيْثُمَا وُجِدَ؟ .. وَمَاذَا لَوْ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ .. فَهَلْ

تَسْمَحُ أَنْ تَسْلُبَكَ القَرَابَةُ وَالمَوَدَّةَ حُرِّيَّتَكَ أَوْ حُرِّيَّةَ غَيْرِكَ.

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْنِيَ مَوَاقِفَكَ بِنَاءً عَلَى مَا تُؤْمِنُ أَنْتَ بِهِ؟ ...

هَلْ تَقْبَلُ سَلْبَ (الحُرِّيَّةِ) مِنْ أَحَدٍ غَيْرِكَ لِعَدَمِ مُشَارَكَتِهِ لَكَ فِي فِكْرِكَ؟

هَلْ تَسْمَحُ بِوُجُودِ مَنْ يُخَالِفُونَكَ الرَّأْيَ؟ ..

وَهَلْ تُؤْمِنُ بحَقِّهِمْ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ آرَائِهِمْ وَحُرِّيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ؟ ...

هَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لأَنْ تُدَافِعَ عَنْ حُرِّيَّةِ الآخَرِينَ وَحُقُوقِهِمْ؟..

وَهَلْ أَنْتَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لأَنْ تُسَاهِمَ فِي مَنْحِ (الحُرِّيَّةِ) لِغَيْرِكَ؟ ...

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ المَالِكَ لِلْمُبَادَرَةِ وَصَاحِبَ الفِعْلِ الأَوَّلِ فِي طَلَبِ (الحُرِّيَّةِ) لَكَ وَلِلآخَرِينَ .. أَمْ مُجَرَّدَ (رَدِّ فِعْلٍ) .. أَمْ (سَلْبِيًّا)؟

هَلْ تَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى الاخْتِيَارِ وَاتِّخَاذِ القَرَارَاتِ؟ ...

وَهَلْ يُؤَثِّرُ فِي قَرَارَاتِكَ: مُجْتَمَعُكَ وَبِيئَتُكَ وَمَنْ حَوْلَكَ [أَيًّا كَانُوا] وَالسُّلْطَةُ وَوَسَائِلُ الإِعْلَامِ وَ... وَالأَحْدَاثُ الخَارِجِيَّةُ المُحِيطَةُ بكَ [دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا]؟

هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَدِّدَ الأَشْيَاءَ (المُمْكِنَةَ) وَ(اللاَّ مُمْكِنَةَ)؟

هَلْ تَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِأَحْلاَمِكَ وَأَفْكَارِكَ؟ ..

هَلْ .. وَهَلْ .. أَسْئِلَةٌ كَثِيرَةٌ تَحْتَاجُ مِنْكَ (إِجَابَة) .. صَرِيحَة .. وَصَادِقَة! فَهَلْ تَمْلِكُ (الإِجَابَةَ)؟ ..

وَلِنَتَعَرَّفْ في البدَايَةِ عَلَى مَعْنَى (الحُرِّيَّة)؛ فَالتَّعْرِيفُ العَامِّ لِلْحُرِّيَّةِ؛ هُوَ: (الحُرِّيَّةُ) هِيَ "غِيَابُ الإِكْرَاهُ"... "الاسْتِقْلاَلِيَّةُ مِنَ القُيُودِ".

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ إِمْكَانِيَّةُ الفَرْدِ دُونَ أَيِّ جَبْرٍ أَوْ ضَغْطٍ خَارِجِيٍّ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ أَوْ تَحْدِيدِ (خِيَارٍ) مِنْ عِدَّةِ (إِمْكَانِيَّاتٍ) مَوْجُودَةٍ وَمُتَاحَةٍ.

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ الشُّعُورُ بِالقُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ وَالتَّحَكُّمُ مَعَ (الخِيَارَاتِ) المُخْتَلِفَةِ المُتَاحَةِ، وَالاخْتِيَارِ الإِرَادِيِّ الشُّعُورِيِّ الوَاعِي لأَحَدِهَا.

فَالإِنْسَانُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ (حُرٌّ) عِنْدَ مُمَارَسَتِهِ لإِرَادَتِهِ في اخْتِيَارِ أَحَدِ (الخِيَارَاتِ) مِنْ بَيْنَ (خِيَارَاتٍ) كَثِيرَةٍ مُتَاحَةٍ لَهُ. [فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِمَا هُوَ (مُتَاحٌ) وَ(مُمْكِنٌ)]

(الحُرِّيَّة) .. هِيَ التَّحَرُّرُ مِنَ القُيُودِ الَّتِي تُكَبِّلُ طَاقَاتِ الإِنْسَانِ وَإِنْتَاجِهِ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ قُيُودًا مَادِّيَّةً أَوْ قُيُودًا مَعْنَوِيَّةً، فَهِيَ تَشْمَلُ التَّخَلُّصَ مِنَ العُبُودِيَّةِ لِشَخْصٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ لِلَذَّاتِ، ... وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الضُّغُوطِ المَفْرُوضَةِ عَلَى شَخْصٍ مَا لِتَنْفِيذِ غَرَضٍ مَا، وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الإِجْبَارِ وَالفَرْضِ.

❁❁❁❁❁

مَعَ العِلْمِ؛ أَنَّ هَذِهِ التَّعَارِيفَ تَلْتَقِي مَعَ تَعْرِيفِ (الذَّكَاءِ):

فَـ(الذَّكَاءُ) هُوَ: انْتِقَاءُ البَدِيلِ الأَمْثَلِ مِنْ ضِمْنِ عِدَّةِ بَدَائِلِ (خِيَارَاتٍ) مُمْكِنَةٍ في ضَوْءِ الغَايَاتِ المُحَدَّدَةِ وَالمَعَايِيرِ المُقَرَّرَةِ سَلَفًا.

إِنَّ أَسَاسَ (الذَّكَاءَ) أَوِ (التَّفْكِيرِ) [1] **[وَالتَّفْكِيرُ هُوَ: التَّعَامُلُ مَعَ الخِيَارَاتِ وَمُعَالَجَتُهَا -قِيَاسُهَا وَمُقَارَنَتُهَا وَتَقْيِيمُهَا- وَالحُكْمُ عَلَيْهَا، ثُمَّ القِيَامُ بِالاخْتِيَارِ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ]، وَكَذَلِكَ أَسَاسَ (السِّيَاسَةِ) [وَهِيَ: فَنُّ (المُمْكِنِ)؛ وَلَكِنْ لِلسَّيْطَرَةِ] وَأَسَاسَ (الإِدَارَةِ) [وَهِيَ فَنُّ: قِيَادَةِ وَتَوْجِيهِ أَنْشِطَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ نَحْوَ تَحْقِيقِ**

---

(١) (الفِكْرُ) وَ(التَّفْكِيرُ) هُوَ: مُجْمَلُ الأَشْكَالِ وَالعَمَلِيَّاتِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا عَقْلُ (ذِهْنُ) الإِنْسَانِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ (نَمْذَجَةِ) [عَمَلِ نَمُوذَجِ] العَالَمِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، وَبِالتَّالِي تُمَكِّنُهُ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَهُ بِفَعَالِيَةٍ أَكْبَرَ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ وَخُطَطِهِ وَرَغَبَاتِهِ وَغَايَاتِهِ. وَعَمَلِيَّةُ (التَّفْكِيرِ) تَتَضَمَّنُ أَيْضًا التَّعَامُلَ مَعَ المَعْلُومَاتِ، وَالإِسْهَامَ فِي عَمَلِيَّةِ حَلِّ المُشْكِلَاتِ، وَالاسْتِنْتَاجَ، وَاتِّخَاذَ القَرَارَاتِ. وَلِذَا يُعْتَبَرُ (التَّفْكِيرُ) أَعْلَى (الوَظَائِفِ الإِدْرَاكِيَّةِ)، وَهُوَ ضِمْنُ إِطَارِ (عِلْمِ النَّفْسِ الإِدْرَاكِيِّ cognitive psychology)

وَ(الفِكْرُ) أَيْضًا اتِّجَاهٌ يَرْتَبِطُ بِهِ الإِنْسَانُ بَعْدَ (تَفْكِيرٍ) لاخْتِيَارِ (تَوَجُّهٍ) يُقِيمُ عَلَى أَسَاسِهِ نَهْجَ حَيَاتِهِ وَالقِيَمَ الإِنْسَانِيَّةَ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا.

وَ(الاتِّجَاهَاتُ الفِكْرِيَّةُ) تَتَقَاطَعُ فِيمَا بَيْنَهَا بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، كَمَا أَنَّهُ يُمْكِنُ لأَيِّ إِنْسَانٍ اتِّخَاذُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَبَادِيءِ الَّتِي لاَ تَنْتَمِي لِتَوَجُّهٍ فِكْرِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَاعْتِبَارُهَا تَوَجُّهًا فِكْرِيًّا خَاصًّا..

وَهُنَاكَ أَنْمَاطٌ وَدَرَجَاتٌ لِلتَّفْكِيرِ؛ أَعْلَاهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَرْقَاهَا: (التَّفْكِيرُ المُسْتَنِيرُ)؛ وَهُوَ الفِكْرُ الَّذِي يُجَلِّي غَوَامِضَ الأُمُورِ، وَلَا يَكْتَفِي بِمَعْرِفَةِ أُصُولِ الأَشْيَاءِ وَفُرُوعِهَا، أَوِ الوَقَائِعِ وَمُسَبَّبَاتِهَا، أَوِ النُّصُوصِ وَمَعَانِيهَا؛ كَمَا هُوَ الحَالُ فِي (الفِكْرِ العَمِيقِ)، إِلاَّ أَنَّهُ يَتَعَدَّى ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ مَا يُحِيطُ بِهَذِهِ الأَشْيَاءِ وَمَا حَوْلَهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

هَدَفٍ مُشْتَرَكٍ] وَ(القِيَادَةِ)؛ هُوَ: الإِرَادَةُ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ بِشَكْلٍ وَاعٍ [التَّفْكِير الإِرَادِيّ البَشَرِيّ الوَاعِي] [فَـ(صُنْعُ القَرَارِ) اخْتِيَارٌ بَيْنَ المُمْكِنَاتِ مِنَ الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ][1]

فَـ(الحُرِّيَّةُ) وَمُمَارَسَتُهَا مَرْهُونَةٌ بِمُمَارَسَةِ (الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ)، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ خِيَارَاتٌ مُتَاحَةٌ؛ فَلَنْ تَكُونَ هُنَاكَ (حُرِّيَّةٌ) يُمْكِنُ مُمَارَسَتُهَا.

وَمِقْدَارُ (الحُرِّيَّةِ) مُرْتَبِطٌ بِكَمِّيَّةِ (الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ)؛ فَالمُخَيَّرُ بَيْنَ وَضْعَيْنِ أَوْ حَالَتَيْنِ (حُرٌّ) وَلَكِنَّ الأَكْثَرَ مِنْهُ حُرِّيَّةً: المُخَيَّرُ بَيْنَ عَشْرِ حَالَاتٍ، وَالأَكْثَرِ مِنْهُمَا هُوَ المُخَيَّرُ بَيْنَ أَلْفِ اخْتِيَارٍ، وَهَكَذَا، فَكُلَّمَا ازْدَادَتِ الخِيَارَاتُ المُتَاحَةُ ازْدَادَتِ (الحُرِّيَّةُ)، وَبِالتَّالِي ازْدَادَتْ إِمْكَانِيَّةُ أَوِ احْتِمَالُ تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ. يَقُولُ (هِيدْجَر): "إِنَّ الإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ، وَمَا القُدْرَةُ عَلَى الاخْتِيَارِ إِلاَّ تَعْرِيفٌ لِلْحُرِّيَّةِ".

فَهِيَ عَمَلِيَّةٌ [(العَمَلِيَّةُ): طَرِيقَةٌ مُحَدَّدَةٌ لِإِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ؛ تَشْمَلُ عَدَدًا مِنَ

---

(١) وَكُلُّ هَذَا (فَنٌّ) وَ(عِلْمٌ). وَ(الفَنُّ) يُقْصَدُ بِهِ المَهَارَةَ فِي أَدَاءِ عَمَلٍ مَا، وَهُوَ يَرْتَكِزُ عَلَى (المَوَاهِبِ الفَرْدِيَّةِ) لِلإِنْسَانِ وَاسْتِعْدَادِهِ الفِطْرِيِّ لِلإِبْدَاعِ.

أَمَّا (العِلْمُ) فَيَقُومُ عَلَى المُلَاحَظَةِ وَالتَّجْرُبَةِ وَاسْتِنْبَاطِ النَّتَائِجِ.

وَ(العِلْمُ) يَتَّصِفُ بِـ(المَوْضُوعِيَّةِ)، أَمَّا (الفَنُّ) فَيَتَّصِفُ بِـ(الذَّاتِيَّةِ) وَ(الاعْتِبَارَاتِ الشَّخْصِيَّةِ).

الخُطُوَاتِ أَوِ العَمَلِيَّاتِ] إِنْسَانِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ؛ مِنَ الصَّعْبِ التَّنَبُّؤِ بِنَتَائِجِهَا؛ فَالنَّتِيجَةُ تَكُونُ مُخْتَلِفَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ؛ إِذَا حَدَثَتْ: أَيَّةُ تَغَيُّرَاتٍ (لِلإِنْسَانِ)، أَوْ .. لِتِلْكَ (الخِيَارَاتِ).

❁❁❁❁❁

وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ يَأْتِي التَّكْبِيلِ مِنْ (دَاخِلِ الإِنْسَانِ) نَفْسِهِ!!

فَكَثِيرًا مَا يُكَبِّلُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَيُقَيِّدُهَا وَيُسَلْسِلُهَا بِأَوْهَامٍ وَخَيَالاَتٍ لاَ وُجُودَ لَهَا .. كَثِيرًا مَا يُعَيِّشُ نَفْسَهُ فِي وَهْمِ الخَوْفِ وَالكَبْتِ؛ فَيَقُومُ بِمَنْعِ نَفْسِهُ وَكَبْتِ وَقَمْعِ أَفْكَارِهِ وَآرَآئِهِ؛ فَلاَ يُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِهِ بِتَجَرُّدٍ وَجُرْأَةٍ وَصَرَاحَةٍ .. مِنْ دَاخِلِهِ لاَ مِنْ قِبَلِ الآخَرِينَ.

... الخَوْفِ -أَيْضًا- مِنْ عَدَمِ التَّوَافُقِ مَعَ الآخَرِينَ؛ وَيَرْجِعُ ذَلِكَ مِنْ خَوْفِ الإِنْسَانِ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَ الآخَرِينَ بِمَظْهَرٍ يَدْعُو لِلسُّخْرِيَةِ، لأَنَّهُ أَتَى بِشَيْءٍ لَيْسَ بِالمَأْلُوفِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ. ..

أَوِ الخَوْفِ مِنِ اتِّهَامِ الآخَرِينَ لأَفْكَارِهِ بِالسَّخَافَةِ. ..

وَيَتَمَثَّلُ -أَيْضًا- فِي الخَوْفِ مِنَ الفَشَلِ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ ثِقَةِ الفَرْدِ بِنَفْسِهِ وَقُدْرَاتِهِ عَلَى ابْتِكَارِ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ وَإِقْنَاعِ الآخَرِينَ بِهَا. ...

وَلِلتَّغَلُّبِ عَلَى هَذَا؛ يَجِبُ أَنْ يُدَعِّمَ الإِنْسَانُ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ وَقُدُرَاتِهِ وَمَوَاهِبِهِ، وَبِأَنَّهُ لاَ يَقِلُّ كَثِيرًا فِي ذَلِكَ عَنِ العَدِيدِ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِينَ أَبْدَعُوا وَاخْتَرَعُوا وَاكْتَشَفُوا.

وَهُنَاكَ مُعَوِّقَاتٌ إِدْرَاكِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ مِثْلُ: أَنْ يَتَبَنَّى الإِنْسَانُ طَرِيقَةً وَاحِدَةً

للتَّفْكِيرِ وَالنَّظَرِ إِلَى الأَشْيَاءِ وَالأُمُورِ؛ فَهُوَ لاَ يُدْرِكُ الشَّيْءَ إِلاَّ مِنْ خِلاَلِ أَبْعَادٍ تُحَدِّدُهَا النَّظْرَةُ الضَّيِّقَةُ المُقَيَّدَةُ [وَأَحْيَانًا: الأُحَادِيَّةُ] الَّتِي تُخْفِي عَنْهُ الخَصَائِصَ الأُخْرَى لِهَذَا الشَّيْءِ.

وَبَعْدُ؛ فَلاَ تَسْخَرْ مِنْ نَفْسِكَ .. وَلاَ تُقَلِّلْ مِنْ عَمَلِكَ .. وَلاَ تَحْقُرْ مِنْ شَأْنِ نَفْسِكَ .. ...

فَلِمَ تَشْعُرُ -دَائِمًا- أَنَّكَ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِكَ!!!

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِنْسَانَ) لَيَطْرَبَ مِنَ القَوْلِ بِأَنَّهُ (حُرٌّ) .. يَقُولُ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ!

يَمْلِكُ حُرِّيَّةَ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ .. وَأَنْ يَقُولَ وَيُبْدِيَ رَأْيَهُ وَوِجْهَةَ نَظَرِهِ الخَاصَّةِ .. وَأَنْ يَخْتَارَ المَكَانَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ وَالعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ .. وَمَا شَابَهَ.

قَدْ يَتَصَوَّرُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ (حُرٌّ) فِي أَيِّ شَيْءٍ، .. وَلاَ يَخْضَعُ لِرِبْقَةِ وَنِيرِ أَيْ شَيْءٍ ...

(حُرٌّ) أَنْ يُحَطِّمَ كُلَّ القُيودِ وَالأَصْفَادِ وَالأَغْلاَلِ، وَأَنْ يُزِيلَ كُلَّ الحَوَاجِزِ وَالمَوَانِعِ وَالسُّدُودِ ...

(حُرٌّ) أَنْ يَثُورَ عَلَى النُّظُمِ وَالقَوَانِينِ وَالأَعْرَافِ ...

(حُرٌّ) أَنْ يَقُولَ وَأَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ...

فَكُلُّ شَيْءٍ .. (مُبَاحٌ)!!!

إِنَّهُ يَمْلِكُ كُلَّ أَنْوَاعِ (الحُرِّيَّةِ): حُرِّيَّةِ التَّفْكِيرِ .. حُرِّيَّةِ الإِرَادَةِ .. حُرِّيَّةِ العَقِيدَةِ .. حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ .. حُرِّيَّةِ القَوْلِ .. حُرِّيَّةِ الفِعْلِ ... وَ ... إِطْلَاقِ (الحُرِّيَّاتِ) وَمُمَارَسَاتِهَا .. بِكَافَّةِ الأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ؛ بِلاَ مَسْؤُولِيَّةٍ .. وَبِلاَ ضَوَابِطٍ .. وَبِلاَ حُدُودٍ .. وَبِلاَ مَبَادِئٍ .. وَبِلاَ أَخْلاَقٍ .. وَبِلاَ خَطٍّ أَحْمَرَ!!!

❁❁❁❁❁

وَاليَوْمَ؛ وَفِي ظِلِّ وَاقِعِنَا المَرِيرِ؛ تَمَّ وَأْدُ (الحُرِّيَّة) فِي رِمَالِ المَلاَهِي وَالغَرَائِزِ وَالشَّهَوَاتِ!!! وَأَصْبَحَتْ مَعْنًى مُعَطَّلاً عَقِيمًا!!!

(حُرِّيَّة العَقِيدَةِ) بِمَا يَعْنِي: (حُرِّيَّة الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ) وَسَبِّ اللهِ جَهْرًا!!!

(حُرِّيَّة الفَنِّ) العَفَنِ؛ بِمَا يَعْنِي: (حُرِّيَّة العُهْرِ وَالمُجُونِ)!!!

حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ .. القَوْلِ .. الفِعْلِ ... وَ ...

[أَضْحَتْ هِيَ الفَسَادُ فِي أَحَطِّ صُوَرِهِ]

فَـ(الحُرِّيَّة) اليَوْمَ ... تَعْنِي: الانْسِلاَخَ مِنَ الأَخْلاَقِ وَالقِيَمِ.

(الحُرِّيَّة) اليَوْمَ .. تَعْنِي: الانْسِلاَخَ مِنَ (الإِنْسَانِيَّةِ)، وَالارْتِمَاءِ فِي زَرَائِبِ وَحَظَائِرِ (الحَيَوَانِيَّةِ).

(الحُرِّيَّة) اليَوْمَ .. تَعْنِي: التَّفَاهَةَ وَالسَّطْحِيَّةَ.

أَصْبَحَتِ (الحُرِّيَّة) اليَوْمَ .. تَعْنِي: "انْفِلاَتًا" لَدَى مَنْ لاَ يُجِيدُونَ فَهْمَهَا.

❁❁❁❁❁

وَفِي (قَامُوس عِلْمِ الاجْتِمَاع) لِلدُّكْتُورِ/ مُحَمَّد عَاطِف غِيث؛ يَقُولُ فِي

(الحُرية): إِنَّ الاسْتِخْدَامَ العَامَّ لِهَذَا المُصْطَلَحِ يُشِيرُ إِلَى التَّحَرُّرِ مِنَ القُيُودِ الَّتِي يَفْرِضُهَا شَخْصٌ مُعَيَّنٌ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ.

وَأَنَّ هُنَاكَ تَعْرِيفَاتٍ عِدَّةً؛ بَعْضُهَا يُسَايِرُ المَعْنَى السَّابِقَ، وَبَعْضُهَا الآخَرُ يَمِيلُ إِلَى القَوْلِ بِأَنَّ (الحُرِّيَّةَ) فِي الوَاقِعِ تَتَوَقَّفُ عَلَى: وُجُودِ الظُّرُوفِ أَوِ الفُرَصِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي تَسْمَحُ بِتَطَوُّرِ وَنِمُوِّ قُدُرَاتِ المَرْءِ ..

وَلَكِنْ لاَ يُمْكِنُ إِطْلاَقُ (الحُرِّيَّةِ الفَرْدِيَّةِ) بلاَ قُيُودٍ وَلاَ حُدُودٍ حَيْثُ تُدَمِّرُ (حُرِّيَّةَ المُجْتَمَعِ) .. وَالوَاقِعِ؛ [كُلُّنَا شُرَكَاءٌ فِي (المُجْتَمَعِ)].

❁❁❁❁❁

فَـ(الحُرِّيَّةُ) عَمَلِيَّةٌ تَبَادُلِيَّةٌ؛ فَكَمَا أَنَّكَ تَسمَحُ لِـ(نَفْسِكَ) أَنْ تُمَارِسَ (الحُرِّيَّةَ)، فَيَجِبُ أَنْ تَسْمَحَ (لِي) أَنَا -أَيْضًا- بِأَنْ أُمَارِسَ (حُرِّيَّتِي).

❁❁❁❁❁

فَـ(الحُرِّيَّةُ) لاَ تَعْنِي -أَبَدًا- التَّعَدِّي عَلَى حُقُوقِ الآخَرِينَ [بَلْ وَيَجِبُ احْتِرَامُ (خُصُوصِيَّةِ) الآخَرِ وَاحْتِرَامُ (إِنْسَانِيَّتِهِ) وَ(آدَمِيَّتِهِ)؛ طَالَمَا لَمْ يُخْطِئْ أَوْ يَتَجَاوَزْ]، وَمُحَاوَلَةَ اِلتَّسَلُّطِ القَذِرِ عَلَيْهِمْ، وَفَرْضِ الرَّأْيِ عَلَيْهِمْ، .. وَالإِيذَاءَ [البَدَنِيّ وَالمَعْنَوِيّ] وَالسَّبَّ وَالقَذْفَ وَالتَّلَفُّظَ بِبَذِيءِ القَوْلِ؛ وَالإِبْدَاعِ فِي أَسْوَءِ أَنْوَاعِ (الدِّيكْتَاتُورِيَّة) ...

(الحُرِّيَّة) الاعْتِرَافُ بِـ(الآخَرِ)، وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ لَهُ قِيمَتُهُ الإِنْسَانِيَّةُ .. وَحُقُوقُهُ المَدَنِيَّةُ [الَّتِي كَفَلَهَا لَهُ (خَالِقُهُ) ﷻ فِي (دِينِ اللهِ)].

❁❁❁❁❁

قَدْ يَتَلَذَّذُ بَعْضُ النَّاسِ بِاسْتِعْبَادِ غَيْرِهِمْ؛ كَمَا نَسْتَمْتِعُ -نَحْنُ- بِحَبْسِ العَصَافِيرِ وَالبَلاَبِلِ فِي أَقْفَاصٍ، وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا فِي أَقْفَاصِهَا وَأَغْلاَلِهَا!!

وَلَكِنْ تَنَبَّهْ .. إِنَّنَا لاَ نُطْلِقُ هَذِهِ (العَصَافِيرَ) مَا لَمْ تُزْعِجْنَا دَوْمًا بِصَوْتِهَا وَصَفِيرِهَا وَضَجِيجِهَا. وَلَكِنْ إِنْ سَكَتَتْ وَسَكَنَتْ؛ بَقِينَا نَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَهِيَ فِي أَقْفَاصِهَا وَأَغْلاَلِهَا وَقُيُودِهَا، وَلاَ نَشْعُرُ أَنَّهَا (مَسْجُونَةٌ)!!

فَـ(الحُرِّيَّةُ) لاَ تُسْتَجْدَى ..

[فَمَا نَيْلُ المَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلاَبَا]

بَلْ رُبَّمَا تَحْتَاجُ (الحُرِّيَّةُ) أَنْ تُرْوَى بِدِمَاءٍ غَالِيَةٍ حَرَّى وَزَكِيَّةٍ، وَأَنْ تُشْتَرَى (الحُرِّيَّةُ) بِكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ. ..

إِنَّ (الحُرِّيَّةَ) لاَ تُوهَبُ، أَوْ .. تُمْنَحُ، أَوْ .. تُعْطَى، ...

وَإِنَّمَا (الحُرِّيَّةُ) تُؤْخَذُ، وَرُبَّمَا .. تُنْزَعُ نَزْعًا!

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الثَّوْرَةَ) لَيْسَتْ بِسَبَبِ وُقُوعِ الظُّلْمِ عَلَى الإِنْسَانِ؛ كَمَا يَتَوَهَّمُ الكَثِيرُونَ!!

[بَلْ يَثُورُ الإِنْسَانُ لأَنَّهُ يَشْعُرُ بِالظُّلْمِ؛ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَظْلُومًا].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعِيشُونَ فِي ظُلْمٍ وَلاَ يَثُورُونَ؛ لأَنَّهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بِهَذَا الظُّلْمِ الوَاقِعِ عَلَيْهِمْ. ... فَمِنْ فُنُونِ أَيِّ (دِكْتَاتُورٍ) أَنَّهُ لاَ يُشْعِرُكَ أَنَّكَ مُقَيَّدٌ مَظْلُومٌ بَلْ يُشْعِرُكَ أَنَّكَ تَعِيشُ حُرًّا طَلِيقًا؛ وَأَنْتَ تَرْسُفُ فِي قُيُودِكَ وَأَغْلاَلِكَ. فَأَيِّ (دِكْتَاتُورٍ) يُتْقِنُ مَهَارَةَ التَّحَكُّمِ فِي عُقُولِ النَّاسِ، وَكَيْفِيَّةَ

تَوْجِيهِ أَفْكَارِهِمْ.

أَنْتَ لَنْ تُطَالِبَ بِحُرِّيَّتِكَ مَا لَمْ تَشْعُرْ أَنَّكَ مُقَيَّدٌ مُسْتَعْبَدٌ مَقْهُورٌ .. حُرِّيَّتُكَ مَسْلُوبَةٌ مِنْكَ، وَمُنْتَزَعَةٌ، وَمَغْصُوبَةٌ .. وَأَنَّكَ تَعِيشُ فِي حَالَةِ كَبْتٍ فِكْرِيٍّ، وَقَهْرٍ حِسِّيٍّ.

وَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ كَسْرَ هَذِهِ القُيُودِ لاَ يَحْدُثُ إِلاَّ بِبَذْلِ التَّضْحِيَاتِ .. وَقَدْ تَكُونُ القُيُودُ كَثِيرَةً يَصْعُبُ مَعَهَا التَّحَرُّرُ وَالانْفِلاَتُ مِنْهَا مَرَّةً وَاحِدَةً؛ وَهُنَا يَنْبَغِي (التَّدَرُّجُ) فِي كَسْرِ القُيُودِ، فَيَبْدَأُ الإِنْسَانُ بِأَيْسَرِهَا وَأَلْيَنِهَا، ثُمَّ الأَشَدّ، فَالأَشَدِّ.. فَبَعْضُ الشَّيْءِ أَخَفُّ مِنْ بَعْضٍ.

❁❁❁❁❁

إِنَّ إِطْلاَقَ (الحُرِّيَّةِ الفَرْدِيَّةِ) يَعْنِي (حُرِّيَّةَ الفَوْضَى)!!!

وَيُصْبِحُ (الجَمِيعُ) ضِدَّ (الجَمِيعِ) ... وَكُلٌّ مِنْهُمْ يُصْبِحُ (مَطْرَقَةً)!

وَيُصْبِحُ (الجَمِيعُ) ذِئَابًا تَعْوِي!!! .. إِنَّهَا .. شَرِيعَةُ الغَابِ!!!

فَكُلُّ شَيْءٍ .. لاَ يُمْكِنُ -أَبَدًا- أَنْ يَكُونَ مُبَاحًا!!!

وَكُلُّ شَيْءٍ .. لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُدُودٌ!

❁❁❁❁❁

إِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى حُرِّيَّاتِ الآخَرِينَ وَيُدَافِعَ عَنْهَا، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُحَافِظَ الآخَرُونَ عَلَى حُرِّيَّتِهِ وَيُدَافِعُوا عَنْهَا ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

❁❁❁❁❁❁

يَقُولُ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ أَنَّ نَتَعَامَلَ مَعَ (الإِنْسَانِ) عَلَى أَنَّهُ (إِنْسَانٌ)؛ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ هُوِيَّتِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَدِينِهِ! وَأَنْ لاَ نُفَرِّقَ بَيْنَ البَشَرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

وَيُرَدِّدُونَ كَثِيرًا لَفْظَ (الإِنْسَان) بِصِيغَةٍ مُطْلَقَةٍ بِدُونِ إِضَافَاتٍ تُقَيِّدُ أَوْ تُخَصِّصُ، وَيَرْفَعُونَ شِعَارَاتٍ؛ مِثْل: "الأُخُوَّة الإِنْسَانِيَّة"، أَوْ .. "الآدَمِيَّة المُشْتَرَكَة"، أَوْ "المَذْهَب الإِنْسَانِيّ"، وَنَحْوِهَا مِنَ اللاَّفِتَاتِ البَرَّاقَةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ هَذَا المَعْنَى. .. كَمَا يُنَادُونَ بِـ(أَنْسَنَةِ[1] العَلاَقَاتِ) بَيْنَ البَشَرِ!

فَهُنَاكَ مَا يُسَمَّى: بِنَزْعَةٍ (إِنْسَانِيَّة humanism)، وَهِيَ مَذْهَبٌ فَلْسَفِيٌّ مَادِيٌّ لاَ دِينِيّ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ كَلِمَةِ (إِنْسَان)، وَقَدِ اكْتَسَبَتْ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا مَعَ الأَيَّامِ مَجْمُوعَةً مِنَ المَعَانِي صَارَ بِهَا ذَلِكَ الإِنْسَانُ (إِنْسَانًا)؛ حَتَّى إِنَّ (العَامَّةَ) تَقُولُ: إِنَّ فُلاَنًا رَجُلٌ (إِنْسَانٌ)؛ أَيْ: يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ (الإِنْسَانِ الحَقِّ)؛ صِفَات تَجْعَلُهُ أَهْلاً لِحَمْلِ ذَلِكَ الوَصْفِ.

---

(١) أَنْسَنَ، يُؤَنْسِن، أَنْسَنَةً؛ فَهُوَ: (مُؤَنْسِنٌ)، وَالمَفْعُولُ: (مُؤْنْسَنٌ):
(أَنْسَنَ الإِنْسَانَ): ارْتَقَى بِعَقْلِهِ؛ فَهَذَّبَهُ وَثَقَّفَهُ، أَوْ: عَامَلَهُ كَإِنْسَانٍ لَهُ عَقْلٌ يُمَيِّزُهُ عَنْ بَقِيَّةِ المَخْلُوقَاتِ؛ فَيُقَالُ: "لاَبُدَّ مِنْ تَثْقِيفِ المُوَاطِنِ وَأَنْسَنَتِهِ لِلرُّقِيِّ بِهَذَا المُجْتَمَعِ". وَ(أَنْسَنَ الحَيَوَانَ): شَبَّهَهُ بِالإِنْسَانِ.

وَهَذِهِ النَّزْعَةِ الْ(إِنْسَانِيَّة humanism) كَانَتْ تَرْجَمَةً لِلانْتِفَاضَةِ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنْهَا (النَّهْضَةُ الأُورُوبيَّةُ) تَعْبِيرًا في الفِكْرِ مِمَّا نَجَمَ عَنْهُ تَغَيُّرٌ في جَمِيعِ شُؤُونِ الحَيَاةِ؛ ضِدَّ قُيُودِ الكَنِيسَةِ وَالطَّاعَةِ العَمْيَاءِ لِرِجَالِ الدِّينِ وَأَنْ يُسَاقَ كَمَا يُسَاقُ القَطِيعُ، وَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَلَى هَذَا كَانَ يُوَاجِهُ المَوْتَ حَرْقًا؛ وَذَلِكَ طُوَالَ فِتْرَةِ الإِظْلاَمِ الفِكْرِيِّ المُسَمَّاةِ بـ(العُصُورِ الوُسْطَى) وَالَّتِي اسْتَطَالَتْ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ قُرُونٍ.

وَهَذِهِ (الإِنْسَانِيَّة) هِيَ اتِّجَاهٌ فِكْرِيٌّ عَامٌّ تَشْتَرِكُ فِيهِ العَدِيدُ مِنَ المَذَاهِبِ الفَلْسَفِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ وَالأَخْلاَقِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ في (إِيطَالْيَا) في بدَايَةِ عَصْرِ النَّهْضَةِ الأُورُوبيَّةِ، وَمِنْهَا انْتَشَرَتْ إِلَى عُمُومِ أُورُورُبَّا وَإِلَى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَمُعْظَمُ سَلْبِيَّاتِ المَدَنِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ الحَاضِرَةِ تُعْتَبَرُ ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِهَا. وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ وَانْتَشَرَتْ في أَوْسَاطِ الأُدَبَاءِ وَالفَنَّانِينَ وَالمُثَقَّفِينَ عُمُومًا في القَرْنِ السَادِس عَشَرَ (عَصْر النَّهْضَةِ)، وَتَمَيَّزَتْ بالرُجُوعِ إِلَى النُّصُوصِ الكِلاَسِيكِيَّةِ القَدِيمَةِ (الإِغْرِيقِيَّة وَالرُّومَانِيَّة)؛ لِتَسْتَمِدَّ مِنْهَا مَنَاهِجَهَا وَفَلْسَفَتَهَا. [فَالأَسْبَابُ ذَاتِيَّةٌ لاَ مَوْضُوعِيَّة]

وَكَانَتْ تُدَافِعُ عَنْ (حُرِّيَّةِ الفَرْدِ)، وَتَدْعُو إِلَى إِعَادَةِ الكَرَامَةِ إِلَى (القِيمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ)، وَأَنْ تَتَّجِهَ الغَايَةُ البَشَرِيَّةُ والمُجْتَمَعِيَّةُ نَحْوَ (الحُرِّيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالفَرْدِيَّةِ)، وَالثِّقَةِ بطَبِيعَةِ الإِنْسَانِ وَقَابِلِيَّتِهِ لِلْكَمَالِ، وَإِمْكَانِ حُدُوثِ التَّقَدُّمِ المُسْتَمِرِّ.

وَكَانَتْ تَدْعُو إِلَى قَصْرِ الاهْتِمَامِ الإِنْسَانِيِّ عَلَى المَظَاهِرِ المَادِّيَّةِ

لِلإِنْسَانِ فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، وَتَحْرِيرِهِ مِنْ سُلْطَةِ أَيِّ دِينٍ.

وَكَانَتْ تُرَجِّحُ (التَّفْكِيرَ العَقْلاَنِيَّ)، وَشِدَّةَ الاعْتِمَادِ عَلَى الفِعْلِ، وَتَغْلِيبَ وِجْهَةِ النَّظَرِ المَادِّيَّةِ، وَأَكَّدَتْ عَلَى تَفَوُّقِ الإِنْسَانِ بِذَاتِهِ وَلَيْسَ عَنْ طَرِيقِ القُوَى الَّتِي لاَ تَخْضَعُ لِتَحَكُّمِ العَقْلِ [أَيْ: رَفْض الوَحْيِ وَالنُّصُوصِ المُقَدَّسَةِ، لَا رَفْض الإِضَافَاتِ وَالتَّفْسِيراتِ البَشَرِيَّةِ فَقَطْ]، فَضْلاً عَنِ انْغِمَاسِ الإِنْسَانِ بالمَادَّةِ فِي بدَايَتِهِ، وَحُبّ اكْتِنَازِ المَالِ وَالثَّرَوَاتِ، وَالاسْتِمْتَاعِ بالحَيَاةِ الزَّائِلَةِ [وَلَيْنْظُرْ أَحَدُنَا إِلَى لَهْثِ هَؤُلاَءِ فِي المَلَذَّاتِ، لاَ يُبَالُونَ وَلاَ يَرْفَعُونَ رَأْسًا بطَيِّبَاتِهَا مِنْ خَبَائِثِهَا، وَلَمْ يَسْتَعِدُّوا لِلِقَاءِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ (مُحَمَّدٍ/ ١٢)].

وَالتَّأْكِيد عَلَى أَنَّ الشُّرُورَ وَالنَّقَائِصَ الَّتِي اعْتَرَضَتِ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ سَبَبُهَا (الخَطِيئَةُ الأُولَى لآدَمَ) كَمَا تُقَرِّرُ النَّصْرَانِيَّةُ ذَلِكَ [عَلَى غَيْرِ مَا عِنْدَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ]، وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا النِّظَامَ الاجْتِمَاعِيَّ السَّيِّءَ.

وَتَأْيِيد فِكْرَةِ ظُهُورِ الدُّوَلِ القَوْمِيَّةِ وَالوَطَنِيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ، وَلَكِنَّهَا تَأْبَى العُنْصُرِيَّةَ؛ لأَنَّهَا امْتِهَانٌ صَارِخٌ لِبَقِيَّةِ العَوَامِلِ المُشَكِّلَةِ لِلنَّسِيجِ الإِنْسَانِيِّ الشَّامِلِ، وَلِذَلِكَ أَوْحَتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ (الإِنْسَانِيَّة) بالأَفْكَارِ التَّحَرُّرِيَّةِ لِقَادَةِ الفِكْرِ فِي عَصْرِ النَّهْضَةِ الأُورُوبِّيَّةِ وَوَصَلَ إِلَى ذِرْوَتِهِ إِبَانَ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ.

وَتُؤْمِنُ هَذِهِ الحَرَكَةُ بِإِمْكَانِ مَجِيءِ العَصْرِ السَّعِيدِ وَالفِرْدَوْسِ الأَرْضِيِّ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ بالرَّخَاءِ الاقْتِصَادِيِّ، وَتَحْقِيقِ ذَلِكَ بتَبْدِيدِ وَنَبْذِ الخُرَافَاتِ وَالأَوْهَامِ [يَقْصِدُونَ: نَبْذَ الدِّينِ]، وَنَشْرِ التَّرْبِيَةِ العَمَلِيَّةِ [المَادِّيَّات].

وَاحْتَوَتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ عَلَى الفِكْرِ اليُونَانِيِّ وَاللاَّتِينِيِّ الوَثَنِيِّ المُعَارِضِ لِلْفِكْرِ الدِّينِيِّ، وَمِنْ هُنَا كَانَ شِعَارُ (الإِنْسَانِيَّةِ) كَلِمَةَ الفَيْلَسُوفِ اليُونَانِيِّ القَدِيمِ "إِنَّ الإِنْسَانَ مِقْيَاسٌ لِلأَشْيَاءِ جَمِيعِهَا".

وَهُوَ مَذْهَبٌ (لاَ دِينِيّ) عَلَى الصَّعِيدِ العَقَدِيِّ؛ يُؤَكِّدُ فَرْدِيَّةَ الإِنْسَانِ ضِدَّ الدِّينِ، وَيُغَلِّبُ وُجْهَةَ النَّظَرِ المَادِّيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ أُسُسِ فَلْسَفَةِ "كُونْت" الوَضْعِيَّةِ [وَتَقُومُ عَلَى وَصْفٍ تَطَوُّرِيٍّ لِلتَّارِيخِ مِنْ ثَلاَثَةِ مَرَاحِل: اللاَّهُوتِيَّة، المِيتَافِيزِيقِيَّة، الوَضْعِيَّة أَوِ العِلْمِيَّة]، وَفَلْسَفَةِ "بنْتَام" النَّفْعِيَّةِ، وَكِتَابَاتِ "برْتِرَانْد رَاسِل" الإِلْحَادِيَّةِ [وَقَدْ أَفْرَطَ فِي هُجُومِهِ عَلَى الدِّينِ، وَأَنَّهُ شَرٌّ].

أَمَّا عَلَى الصَّعِيدِ العَمَلِيِّ الوَاقِعِيِّ المُؤَثِّرِ بِصُورَةٍ مَلْمُوسَةٍ فِي أُسْلُوبِ سُلُوكِ الفَرْدِ؛ فَقَدْ مَنَّى الإِنْسَانَ بِأَمَانٍ كَاذِبَةٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَنَسِيَ أَنَّ طَرِيقَ الخَلاَصِ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَتِمَّ إِلاَّ مِنْ خِلاَلِ خَاتِمِ الأَدْيَانِ [الإِسْلاَمِ].

فَـ(الإِسْلاَمُ) هُوَ الَّذِي قَدْ كَرَّمَ الإِنْسَانَ، وَتَعَالِيمُهُ كُلُّهَا (إِنْسَانِيَّةٌ)؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾؛ وَلَكِنْ مَنِ اخْتَارَ مِنَ النَّاسِ الكُفْرَ فَلاَ يَسْتَحِقُّ هَذَا التَّكْرِيمَ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ﴾.

وَقَدْ خَاطَبَ اللهُ ﷻ الإِنْسَانَ مُنَادِيًا أَكْرَمَ مَا فِي كِيَانِهِ وَهُوَ إِنْسَانِيَّتُهُ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا عَنْ سَائِرِ الأَحْيَاءِ؛ فَهُوَ أَكْرَمُ مَنْ خَلَقَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ﴾، وَجَعَلَ الإِنْسَانَ القَوِيمَ الصَّالِحَ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي

يَتَّسِمُ بالعَقْلِ وَالعِلْمِ وَالإِيمَانِ وَالعَمَلِ، وَهَذَا كُلُّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ في جَوْهَرِهِ وَفي أَثَرِهِ، وَلِهَذَا فَهُوَ مَسْؤُولٌ مُحَاسَبٌ عَلَى مَايَفْعَلُ مُجَازَى عَلَى مَا يَفْعَلُ؛ كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَضَعَ ذَلِكَ في إِطَارٍ صَحِيحٍ إِذَا تَفَهَّمْنَا حَاجَاتِ (الفَرْدِ وَ(الجَمَاعَةِ)، وَرَكَّزْنَا عَلَى العُنْصُرِ البَشَرِيِّ أَكْثَرَ مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَى الجَوَانِبِ المَادِّيَّةِ، وَسَعَيْنَا إِلَى إِشْبَاعِ الحَاجَاتِ الفَرْدِيَّةِ في ضَوْءِ المَصَالِحِ العَامَّةِ وَالأَهْدَافِ وَالغَايَاتِ المَشْرُوعَةِ، وَعَمِلْنَا عَلَى إِثَارَةِ الدَّوَافِعِ الفَرْدِيَّةِ بِهَدَفِ الإِنْتَاجِ وَالتَّنْظِيمِ؛ في جَوٍّ يَسُودُهُ التَّفَاهُمُ وَالثِّقَةُ المُتَبَادَلَةُ، فَرِضَاءُ الأَفْرَادِ وَارْتِيَاحُهُمْ في أَعْمَالِهِمْ إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةٌ لِلشُّعُورِ بالتَّقْدِيرِ وَالشُّعُورِ بالانْتِمَاءِ وَالمُشَارَكَةِ. [فَهِيَ فَلْسَفَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ يَعِيشُ فِيهَا الفَرْدُ لِلْحَيَاةِ؛ وَلاَ آخِرَة]

❁❁❁❁❁

وَقَدْ جَعَلُوا عِبَارَةَ (اللَّمْسَةِ الإِنْسَانِيَّةِ) (Human touch) دُسْتُورًا يَنْطَوِي تَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعْنًى يُرْشِدُ إِلَى طَرِيقٍ خَاصٍ في مُعَامَلَةِ وَإِشْبَاعِ الحَاجَاتِ لَدَى الفَرْدِ؛ كَالتَّالِي:

١. اسْتَمِعْ إِلَيْهِ Hear him

٢. احْتَرِمْ شُعُورَهُ Understand his feeling

٣. حَرِّكْ رَغْبَتَهُ Motivate his desier

٤. قَدِّرْ جُهُودَهُ Appreciate his efforts

٥. مِدَّهُ بِالأَخْبَارِ New him

٦. دَرِّبْهُ Train him

٧. أَرْشِدْهُ Open his eyes

٨. تَفَهَّمْ تَفَرُّدَهُ Understand his uniqueness

٩. اتَّصِلْ بِهِ Contact him

١٠. كَرَامَة Honour him

وَقَدْ وُجِّهَتْ لِهَذِهِ الحَرَكَةِ العَدِيدُ مِنَ الانْتِقَادَاتِ؛ مِنْهَا:

- لاَ يُوجَدُ أَصْلاً دَوْلَةٌ مِنَ الدُّوَلِ -اليَوْمَ- شَرْقِيِّهَا وَغَرْبِيِّهَا تَعْمَلُ لِلإِنْسَانِ المُطْلَقِ، بَلْ تَجِدُهَا تُمَيِّزُ فِي الجِنْسِ الإِنْسَانِيِّ إِمَّا عَلَى أَسَاسٍ وَطَنِيٍّ أَوْ قَوْمِيٍّ أَوْ عِرْقِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَقَايِيسِ، فَكَيْفَ نَتَقَبَّلُ تَمْيِيزَ هَذِهِ الأُمَمِ بَيْنَ مُوَاطِنِهَا وَغَيْرِ مَوَاطِنِهَا [لاَ نَنْسَى كَيْفَ هَاجَ (اللِّيبْرَالِيُّونَ) عِنْدَمَا رَفَعَ مُسْلِمٌ مِصْرِيٌّ فِي مَيْدَانِ (التَّحْرِيرِ) -عَلَى سَبِيلِ الخَطَأِ وَالجَهْلِ- عَلَمَ السُّعُودِيَّةِ الأَخْضَرِ؛ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)!!!]، وَلاَ نَقْبَلُ تَمْيِيزَ اللهِ بَيْنَ المُسْلِمِ وَالكَافِرِ؟!

- البَشَرُ -إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ- وَجَّهُوا اهْتِمَامَاتِهِمْ كُلَّهَا إِلَى المَسَائِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَرَكَّزَتْ أَطْمَاعُهُمْ فِي الأَشْيَاءِ الزَّائِلَةِ الَّتِي يَسَّرَهَا لَهُمُ العِلْمُ، فَحَدَثَ تَقَدُّمٌ لِلإِنْسَانِ مِنَ النَّاحِيَةِ المَعْرِفِيَّةِ مَعَ تَرَاجُعٍ أَخْلاَقِيٍّ.

- الأُسُسُ الأَخْلاَقِيَّةُ وَالآدَابُ لاَ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ قَاصِرَةً عَلَى

الخُضُوعِ لِلْمُوَاءَمَةِ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَبِيئَتِهِ كُلَّمَا تَغَيَّرَتِ الظُّرُوفُ وَتَبَدَّلَتِ الأَحْوَالُ؛ فَإِنَّهَا بِذَلِكَ تَفْقِدُ قِيمَتَهَا العَامَّةَ، وَلَكِنْ لاَبُدَّ أَنْ تَسْتَنِدَ إِلَى الاعْتِقَادِ بِوُجُودِ نِظَامٍ أَسْمَى مِنَ النِّظَامِ المَادِّيِّ الدُّنْيَوِيِّ، وَالإِيمَانِ بِالمَبَادِئِ الخَالِدَةِ المُطْلَقَةِ.

وَلَنْ تَرْتَفِعَ الأَخْلاَقُ وَتَسْمُو إِلاَّ مِنْ خِلاَلِ (وَحْيِ اللهِ) الحَقِّ، أَمَّا (الآدَابُ العَلْمَانِيَّةُ) فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَبْلُغَ ذَلِكَ!

❁❁❁❁❁❁

وَالوَاقِعُ أَنَّ هَذِهِ (الدَّعْوَةَ) -وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُرَدِّدُهَا بِحُسْنِ نِيَّةٍ- إِلاَّ أَنَّهَا مُصَادِمَةٌ لأُصُولِ الوَحْيِ الإِلَهِيِّ، وَتَضْمُرُ سَلْخَ الأَوْصَافِ القُرْآنِيَّةِ القَطْعِيَّةِ الَّتِي مَيَّزَ اللهُ عَلَى أَسَاسِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَفَاوَتَ فِي العَلاَقَاتِ بَيْنَهُمْ طِبْقًا لِلتَّفَاوُتِ فِيهَا؛ كَوَصْفِ: (المُؤْمِنِ) وَ(المُسْلِمِ) وَ(الفَاسِقِ) وَ(الكَافِرِ) وَ(المُشْرِكِ) وَ(المُنَافِقِ). ... وَوَضَعَ هَؤُلاَءِ جَمِيعًا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ بِنَاءً عَلَى اشْتِرَاكِهِمْ فِي (الإِنْسَانِيَّةِ) لِيُصْبِحَ (المُسْلِمُ) وَ(اليَهُودِيُّ) وَ(النَّصْرَانِيُّ) وَ(الوَثَنِيُّ) وَ(المُلْحِدُ) عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؛ لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ [فَلاَ فَرْق بَيْنَ (نَحْنُ) وَ(هُمْ)] طَالَمَا أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لِسَعَادَةِ (الإِنْسَانِيَّةِ) وَ(السَّلاَمِ) البَشَرِيِّ!

فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ يُصَادِمُ المِيزَانَ الإِلَهِيَّ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى!!!

فَلاَبُدَّ مَنَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَأْتِ بِالمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ المُطْلَقِ لِـ(الإِنْسَانِ) كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ؛ بَلْ إِنَّ اللهَ بَيَّنَ فِي القُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ذَمَّ (الإِنْسَانِ) إِذَا فَقَدَ شَرَفَ الإِيمَانِ بِاللهِ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عَبَسَ/ ١٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إِبْرَاهِيم/ ٣٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (الحَجّ/ ٦٦)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإِسْرَاء/ ٦٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (الزُّخْرُف/ ١٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشُّورَى/ ٤٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العَادِيَات/ ٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (النَّحْل/ ٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (يس/ ٧٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ (الإِسْرَاء/ ١١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (الكَهْف/ ٥٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (العَلَق/ ٦- ٨).

۞۞۞۞۞

وَمَنْ تَدَبَّرَ المَوَاضِعَ القُرْآنِيَّةَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا مَفْهُومَ (الإِنْسَانِ)؛ وَجَدَ أَنَّ اللهَ ﷻ يَذُمُّ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِمَذَامٍ مُتَنَوِّعَةٍ، ثُمَّ يَسْتَثْنِي مِنْ عُمُومِ هَذَا الذَّمِّ أَهْلَ الإِيمَانِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ:

أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِالزَّمَانِ عَلَى أَنَّ (الإِنْسَانَ) فِي خِسَارَةٍ تَامَّةٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِاسْتِثْنَاءِ أَهْلِ الإِيمَانِ مِنْ هَذِهِ الخَسَارَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وَذَمَّ اللهُ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الهَلَعِ وَالجَزَعِ وَالشُّحِّ، ثُمَّ اسْتَثْنَى أَهْلَ الإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المَعَارِج/ ١٩-٢٢).

وَذَمَّ اللهُ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِصِفَةِ القُنُوطِ وَالجُحُودِ وَالبَطَرِ، ثُمَّ اسْتَثْنَى أَهْلَ الإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نزعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۞ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هُود/٩- ١١).

وَذَمَّ اللهُ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) بِصِفَةِ الظُّلْمِ وَالجَهْلِ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِالتَّمْيِيزِ التَّفْصِيلِيِّ فِي جِنْسِ هَذَا (الإِنْسَانِ) الظَّلُومِ الجَهُولِ عَلَى أَسَاسِ المَوْقِفِ الدِّينِيِّ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً،

لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحْزَاب/ ٧٢).

وَهَذَا المَعْنَى المُتَضَمِّنُ ذَمَّ جِنْسَ (الإِنْسَانِ) ثُمَّ اسْتِثْنَاءَ أَهْلِ الإِيمَانِ؛ لَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ في كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التِّين/ ٤- ٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۞ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾ (الإِسْرَاء/ ٨٣- ٨٤).

بَلْ إِنَّ اللهَ هَدَّدَ (الإِنْسَانَ) تَهْدِيدًا مُدَوِّيًا؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانْفِطَار/٦- ٨). وَلِذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ رَجُلاً يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ؛ قَالَ: (غَرَّهُ -وَاللهِ- جَهْلُهُ)، وَالوَاضِحُ أَنَّ عُمَرَ ﷺ اسْتَنْبَطَ هَذَا المَعْنَى مِنَ الآيَاتِ الَّتِي وَصَفَتِ (الإِنْسَانَ) بالجَهْلِ؛ كَمَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ لِبَعْضِهَا.

فَكَيْفَ يُقَالُ -بَعْدَ ذَلِكَ- أَنَّ اللهَ كَرَّمَ (الإِنْسَانَ) وَفَضَّلَ (الإِنْسَانَ) عَلَى الإِطْلَاقِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ هُوِيَّتِهِ الدِّينِيَّةِ؟ وَأَنَّ الأَدْيَانَ لاَ تُؤَثِّرُ في كَرَامَةِ الإِنْسَانِ إِيجَابًا وَلاَ سَلْبًا؟ وَأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ لِمَفْهُومِ (الإِنْسَانِ) بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ؟ أَوْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: لاَ تَجْعَلُوا الرَّأْيَ الشَّخْصِيَّ

-وَلَوْ كَانَ كُفْرًا- يُفَرِّقُ بَيْنَ أَبْنَاءِ آدَمَ!!!

أَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَشَاقَّةٌ لِكَلاَمِ اللهِ ﷻ الصَّرِيحِ؟

❁❁❁❁❁

قَدْ يَتَصَوَّرُ (الإِنْسَانُ) أَنَّهُ (حُرٌّ) فِي أَنْ يَتخذَ مَا يَشَاءُ مِنْ قراراتٍ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ هَذَا (القَرَارُ) هُوَ (الانْتِحَار) .. أَنَّ يَتَخَلَّصَ مِنْ حَيَاتِهِ؛ لِيُبَرْهِنَ عَلَى حُرِيَّتِهِ!!! .. فَإِذَا بِهَا إِرَادَةٌ تَقْضِي عَلَى كُلِّ إِرَادَةٍ لَدَيْهِ، وَحُرِّيَّةُ فِعْلٍ تَقْضِي عَلَى كُلِّ قُدْرَةٍ عَلَى الفِعْلِ، بَلْ .. هُوَ تَنَازُلٌ -مِنْهُ- عَنْ كُلِّ اخْتِيَارٍ، بَلْ .. يَسْتَحِيلُ -عِنْدَئِذٍ- إِلَى (جَمَادٍ) لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَى (الاخْتِيَارِ) بَلْ .. لاَ شَيْء!

وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى؛ يَتَعَبَّدُ لِلأَصْنَامِ [المَادِيَّةِ أَوِ المَعْنَوِيَّةِ] الَّتِي يَصْنَعُهَا وَيُضْفِي عَلَيْهَا مِنْ خَيَالِهِ وَأَوْهَامِهِ! .. إِنَّهُ يَتَعَبَّدُ لِهَوَاهُ وَخَيَالِهِ المَرِيضِ!!!

❁❁❁❁❁

إِنَّ التَّفْكِيرَ الطُّفُولِيَّ يَدْفَعُ الإِنْسَانَ إِلى أَنْ يَنْشُدَ (القُوَّة المُطْلَقَة) لِيَفْعَلَ مَا يَشَاءُ؛ فَيَسْعَى بِكُلِّ سَبِيلٍ -وَلَوْ فِي خَيَالِهِ- أَنْ يَمْتَلِكَ قُوَّةَ الجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَلَوْ فِي صُورَةِ الأَبْطَالِ الخُرَافِيِّينَ. .. إِنَّهُ يُحَاوِلُ الخُرُوجَ مِنْ بَوْتَقَةِ: أَنَّهُ "إِنْسَانٌ" مَحْدُود القُوَى وَالإِرَادَةِ.

إِنَّ (الإِنْسَانَ) لاَبُدَّ أَنْ يَعْتَرِفَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ (قُوَى خَارِقَة) [إِنَّهُ لَيْسَ الإِنْسَانَ الخَارِقَ (سُوبَر مَان)، أَوِ (المَخْلُوقَاتِ الخَارِقَةَ) الخُرَافِيَّةَ]. [﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾ (الإِسْرَاء/ ٣٧)]

وَلَيْسَتْ لأَيِّ إِنْسَانٍ (إِرَادَةٌ مُطْلَقَةٌ). ...

وَلاَ تُوجَدُ (حُرِّيَّةٌ لاَ مُتَنَاهِيَة)؛ بَلْ مَظَاهِرُ الضَّعْفِ البَشَرِيِّ أَوْضَحُ الحَقَائِقِ وَأَبْيَنُهَا .. إِنَّهُ مَا خَلَقَ نَفْسَهُ .. وَلَمْ يَخْلُقْ مَا حَوْلَهُ، فَهُوَ لَيْسَ كَمَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ .. وَالعَالَمُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُرِيدُ!

وَمَظَاهِرُ الضَّعْفِ البَشَرِيِّ:

بَعْضُهَا مَصْدَرُهُ الذَّاتُ نَفْسُهَا.

وَبَعْضُهَا مِنْ وُجُودِ الإِنْسَانِ فِي دَائِرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مَحْدُودَةٍ .. ذَاتِ نَشَاطٍ مَحْدُودٍ.

وَبَعْضُهَا مِنَ العَالَمِ الخَارِجِيِّ المُحِيطِ بِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.

وَبَعْضُهَا مِنَ القِيَمِ، وَالمَبَادِئِ، وَالضَّرُورَاتِ، وَالبَوَاعِثِ، ...؛ الَّتِي تَرَسَّبَتْ بِدَاخِلِهِ.

❁❁❁❁❁❁

وُجُودُكَ لَيْسَ وُجُودًا عَامًّا مُطْلَقًا؛ بَلْ هُوَ وُجُودٌ مُرْتَبِطٌ بِزَمَانٍ مُحَدَّدٍ، وَمَكَانٍ مُحَدَّدٍ .. وُجُودٌ لَهُ ظُرُوفُهُ وَمَوَاقِفُهُ .. لَهُ ارْتِبَاطٌ، وَعَلاَقَاتٌ بِمَا حَوْلَهُ مِنْ ذَوَاتٍ وَأَشْيَاءٍ.

وَمَعَ أَنَّهُ لاَ سَبِيلَ لَدَيْهِ لِمَحْوِ وَإِلْغَاءِ ذَلِكَ؛ إِلاَّ أَنَّ لَهُ أَنْ يَخْتَارَ مَوْقِفًا تُجَاهَ ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَبِعَاتِ هَذَا المَوْقِفِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ. ...

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِذَلِكَ، [وَرُبَّمَا مَعَ خَجَلِهِ مِنْهُ] ..

وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَبَّلَ ذَلِكَ؛ بَلْ .. رُبَّمَا يَفْتَخِرُ بِهِ.

وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفُضَهُ وَيَأْبَاهُ؛ بَلْ .. يَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ.

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ مُتَشَائِمًا .. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَاءَلَ ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْقِطَ عَلَى (الأَشْيَاءِ): (مَعْنًى) وَ(قِيمَةً)!

إِنَّهُ يُمْكِنُهُ -مَثَلاً- أَنْ يَفْرَحَ أَنَّهُ (طَوِيلٌ) أَوْ (قَصِيرٌ) .. وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَحْزَنَ!!! وَهَكَذَا أَيُّ أَمْرٍ هُوَ عَلَيْهِ وَلاَ دَخْلَ لَهُ فِيهِ؛ إِنَّهُ (أَبْيَض) أَوْ (أَسْوَد) .. إِنَّهُ (سَمِينٌ) أَوْ (نَحِيفٌ) ..

إِنَّهُ .. أَنْتَ؛ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ!

وَلاَبُدَّ مِنَ التَّعَايُشِ مَعَ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ وَمَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ وَمَا لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ!

وَإِنَّ (المَاضِي) لاَ يُحَدِّدُ -بِالضَّرُورَةِ-: (الحَاضِرَ)، وَ(المُسْتَقْبَلَ) ..

بَلِ (المَاضِي) هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَغْيِيرِهِ [إِلَى الأَفْضَلِ] حَتَّى تَصِلَ إِلى (الغَايَةِ) الَّتِي تَهْدفُ إِلَيْهَا وَتَقْصِدُهَا؛ أَيْ: (المُسْتَقْبَل) الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ. ...

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْيِيَ (المَاضِي)؛ لاَ لأَنْ تُصْبِحَ أَسِيرًا لَهُ، وَلَكِنْ لِكَيْ تَأْخُذَ مِنْهُ العِبْرَةَ وَالعِظَةَ وَتَسْتَفِيدَ مِنْ دُرُوسِهِ، وَأَنْ يَكُونَ دَافِعًا لِمَا تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ (المُسْتَقْبَلُ). ...

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ (مَيْتًا) (لاَ وُجُودَ لَهُ) مُنْفَصِلاً عَنْكَ؛ إِنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى إِعَاقَتِكَ، وَانْظُرْ في ذَلِكَ قِصَّةَ قَاتِلِ المِائَةِ نَفْسٍ؛ وَكَيْفَ سَعَى في تَغْيِيرِ مَاضِيهِ، وَأَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ، وَتَرَكَ أَرْضَهُ وَوَطَنَهُ الَّذِي تَرَبَّى فِيهِ؛ في سَبِيلِ تَغْيِيرِ هَذَا المَاضِي الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُغَيَّرَ!

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَثُورَ عَلَى هَذَا (المَاضِي) الَّذِي تَبْغَضُهُ، وَأَنْ تَتَنَكَّرَ لَهُ وَتَنْقَلِبَ عَلَيْهِ، فَهُنَاكَ مَنْ يَرَى (المَاضِي) عَائِقًا وَعَقَبَةً في سَبِيلِ تَقَدُّمِهِ.

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْتَخِرَ بِهِ، وَتُخْلِصَ لَهُ، وَتَتَّحِدَ مَعَهُ، وَتَنْدَمِجَ فِيهِ. ...

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ نَشَأَ في بِيئَةٍ وَضِيعَةٍ [بَلْ رُبَّمَا أَيْضًا: رَقِيعَة] وَرَفَعَ نَفْسَهُ إِلَى مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ [انْظُرْ إِلَى الصَّحَابَةِ -كَمِثَالٍ] .. وَالعَكْسُ أَيْضًا كَثِيرٌ!!!

نَعَمْ! تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْعُرَ بِحُرِيَّتِكَ في قَبُولِ هَذَا المَاضِي.. أَوْ: الانْقِلاَبِ عَلَيْهِ، وَالتَّحَوُّلِ عَنْهُ.

❁❁❁❁❁

❁ فَـ(الحُرِيَّةُ): القُدْرَةُ عَلَى التَّعْدِيلِ .. وَالتَّحْوِيلِ .. وَالتَّغْيِيرِ.

❁❁❁❁❁

وَلاَ يُوجَدُ (اخْتِيَارٌ عَقْلِيٌّ) يَتِمُّ بِدُونِ أَسَاسٍ أَوْ دعَامَةٍ يَسْتَنِدُ عَلَيْهَا، فَلاَ يُوجَدُ اخْتِيَارٌ يُمْلِي عَلَى نَفْسِهِ بَوَاعِثَهُ.

إِنَّ (الإِنْسَانَ) هُوَ الَّذِي يَخْلَعُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَمُبَرِّرَاتِهِ وَدَوَافِعِهِ وَبَوَاعِثِهِ (قِيمَةً)، هَذِهِ (القِيمَةُ) قَدْ تَكُونُ حَقِيقِيَّةً إِنْ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ (اللهِ) .. وَتَكُونُ

غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ إِنْ كَانَتْ مِنْ هَوَى (الإِنْسَانِ).

إِنَّ المِعْيَارَ الأَوْحَدَ لِلْحَقِيقَةِ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ (اللهُ)؛ لاَ غَيْرَ.

فَـ(الإِنْسَانُ) لاَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِلْقِيَمِ وَالمَبَادِئِ وَالمُثُلِ وَالمَعَايِيرِ ... لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِعْيَارًا لِلْحَقِّ وَالخَيْرِ وَالجَمَالِ؛ كَمَا يَقُولُ (اللِّيبْرَالِيُّونَ) [وَكَذَا يَتَّفِقُ مَعَهُمُ (العَلْمَانِيُّونَ) (الدُّنْيَوِيُّونَ)] [حَيْثُ تَخْتَلِفُ هَذِهِ القِيَمُ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ، وَمِنْ زَمَانٍ لِزَمَانٍ، وَمِنْ مَكَانٍ لِمَكَانٍ] بِذَلِكَ [بِـ(أَنْمُوذَجِ الفَرْدِ المُسْتَقِلِّ بِذَاتِهِ)]؛ فَـ(الإِنْسَانُ) -عِنْدَهُمْ- (ذَاتِيُّ الاسْتِقْلاَلِيَّةِ)، فَالحُكْمُ وَالاخْتِيَارُ فَرْدِيٌّ، فَالشَّخْصُ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ وَيَخْتَارُ؛ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ المُسَاوَاةَ الأَخْلاَقِيَّةَ بَيْنَ جَمِيعِ الأَشْخَاصِ، مِنْ حَيْثُ كَوْنُ كُلٍّ مِنْهُمْ كَائِنًا مُسْتَقِلاً بِذَاتِهِ؛ لَهُ الحُرِّيَّةُ الكَامِلَةُ فِي أَنْ يَخْتَارَ قِيمَهُ، وَلاَ يَجُوزُ لِلدَّوْلَةِ -فِي هَذِهِ الحَالَةِ- أَنْ تَخْضَعَ لِنُفُوذِ أَيِّ عَقِيدَةٍ مَهْمَا كَانَتْ، وَلاَ يَجُوزُ لِفَرْدٍ أَنْ يُخْضِعَ غَيْرَهُ مِنَ الأَفْرَادِ لِمَا يَعْتَقِدُ!

وَهَذَا الكَلاَمُ لاَ يَصْلُحُ؛ لاَ .. لأَنَّهُ يَتَصَادَمُ مَعَ دِينِنَا فَقَطْ، بَلْ .. لاَ يَصْلُحُ لأَنَّهُ لاَ يَصِحُّ أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لِنَفْسِهِ القِيَمَ وَالمَعَايِيرَ؛ وَإِلاَّ لَكَانَ (الإِنْسَانَ) هُوَ السَّيِّدُ المُطَاعُ .. وَلَتَصَادَمَتْ تِلْكَ القِيَمُ وَالمُثُلُ مَعَ تَصَادُمِ الأَسْيَادِ [بِعَدَدِ البَشَرِ].

وَكَذَا (البَرَجْمَاتِيَّةُ pragmatism): الذَّرَائِعِيَّةُ النَّفْعِيَّةُ، تَجْعَلُ مِنَ (المَنْفَعَةِ) مِعْيَارًا لِلْحَقِّ وَالخَيْرِ وَالجَمَالِ، فَالفِكْرَةُ لَيْسَتْ صَحِيحَةً أَوْ بَاطِلَةً فِي ذَاتِهَا؛ وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَقِّقَهُ لِلإِنْسَانِ مِنْ نَفْعٍ فِي حَيَاتِهِ

العَمَلِيَّةِ.

وَهَذَا كُلُّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَ العُقَلاَءِ!

❁❁❁❁❁

بَعْضُ المَدَارِسِ الفَلْسَفِيَّةِ وَبَعْضُ التَّوَجُّهَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ تُنْكِرُ وُجُودَ (إِرَادَةٍ حُرَّةٍ) عِنْدَ الإِنْسَانِ، وَتَعْتَبِرُهُ خَاضِعًا شَاءَ أَمْ أَبَى لِسُلْطَانِ قِوَى طَبِيعِيَّةٍ أَوْ غَيْبِيَّةٍ، وَتَعْتَبِرُ الإِنْسَانَ جُزْءًا غَيْرَ مُنْفَصِلٍ وَلاَ مُفَارِقٍ عَنِ الطَّبِيعَةِ، وَبِالتَّالِي؛ فَالإِنْسَانُ يَخْضَعُ لِجَمِيعِ القَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَصِفُهَا بِـ(الحَتْمِيَّةِ)، وَهَذِهِ المَدْرَسَةُ تُعْرَفُ بِـ(الحَتْمِيَّةِ) Determinism. وَعلَى رَأْسِهَا: (دِيفِيد هِيُوم)، وَ(تُومَاس هُوبِز)، وَ(إِيمَانُوِيل كَانْت)، وَ(بُول هِنْرِي ثِيرِي)، وَ(بَارُون دِيْ هُولْبَاخ)، وَ(جُون سِيرْل).

❁❁❁❁❁

وَ(الحَتْمِيَّةُ) فَرْضِيَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ تَقُولُ بِأَنَّ كُلَّ حَدَثٍ فِي الكَوْنِ -بِمَا فِي ذَلِكَ إِدْرَاكُ الإِنْسَانِ وَتَصَرُّفَاتُهُ- خَاضِعَةٌ لِتَسَلْسُلٍ مَنْطِقِيٍّ سَبَبِيٍّ مُحَدَّدٍ سَلَفًا ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنَ الحَوَادِثِ الَّتِي يُؤَدِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وِفْقَ قَوَانِينَ مُحَدَّدَةٍ. فَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا قَوَانِينُ الطَّبِيعَةِ، فِي حِينَ يُؤْمِنُ آخَرُونَ بِأَنَّهَا قَضَاءُ اللهِ وَقَدَرُهُ الَّذِي رَسَمَهُ لِلْكَوْنِ بِمَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ.

وَإِذَا دَرَسْنَا غَالِبِيَّةَ خَصَائِصِ إِنْسَانٍ مَا؛ الفِسْيُولُوجِيَّة وَالنَّفْسِيَّة وَالفِكْرِيَّة .. وَدَوَافِعه وَرَغَبَاته وَ....، وَدَرَسْنَا العَنَاصِرَ وَالأَوْضَاعَ وَالظُّرُوفَ المَادِّيَّةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ وَ..... المَوْجُودَةَ فِيهِ وَيَعِيشُ فِيهَا؛ فَعَلَى الأَغْلَبِ

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَنَبَّأَ بِغَالِبِيَّةِ اسْتِجَابَاتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، وَسَنَجِدُهَا نَاتِجَةً عَنِ العَنَاصِرِ وَالظُّرُوفِ المَوْجُودَةِ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّنَا إِذَا وَسَّعْنَا دَائِرَةَ (العَنَاصِرِ) وَ(التَّفَاعُلَاتِ)؛ فَإِنَّنَا نَجِدُ أَنَّ تَعَامُلَ هَذَا الإِنْسَانِ مَعَ (الخِيَارَاتِ) مَحْكُومٌ بِالعَنَاصِرِ وَالظُّرُوفِ المَوْجُودَةِ.

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ (إِرَادَتَهُ) مُوَجَّهَةٌ وَتَابِعَةٌ لِمُحَصِّلَةِ تِلْكَ العَنَاصِرِ وَالظُّرُوفِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ المَوْجُودَةِ.

❁❁❁❁❁

وَ(الحَتْمِيَّةُ) تَرْتَبِطُ أَسَاسًا وَتَعْتَمِدُ عَلَى أَمْرَيْنِ: (المَادِّيَّةِ) وَ(السَّبَبِيَّةِ).

فَفِي (الحَتْمِيَّةِ)؛ لاَ يُمْكِنُ حُدُوثُ أَيْ شَيْءٍ خَارِجَ مَنْطِقِ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ [وَفِي التَّفْسِيرِ الدِّينِيِّ لِلْحَتْمِيَّةِ: وَضَعَ اللهُ القَوَانِينَ فِي الطَّبِيعَةِ لِيَسِيرَ كُلُّ شَيْءٍ وِفْقَهَا]، وَبِالتَّالِي؛ لاَ مَجَالَ لِحَوَادِثَ عَشْوَائِيَّةٍ غَيْرِ مُحَدَّدَةٍ سَلَفًا.

وَيَعْتَرِفُ (الحَتْمِيُّونَ) بِأَنَّهُ رُبَّمَا يَصْعُبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَحْيَانًا مَعْرِفَةُ النَّتِيجَةِ مُسَبَّقًا نَتِيجَةَ عَدَمِ قُدْرَتِهِ تَحْدِيدَ الشُّرُوطِ البَدْئِيَّةِ لِلتَّجْرُبَةِ، أَوْ عَدَمِ امْتِلَاكِهِ لِلصِّيَاغَةِ الدَّقِيقَةِ لِلْقَانُونِ الطَّبِيعِيِّ، لَكِنَّ هَذَا القَانُونَ مَوْجُودٌ وَالنَّتِيجَةَ مُحَدَّدَةٌ سَلَفًا.

فَهُنَاكَ مَنْ يَعْتَبِرُ (الإِنْسَانَ) مُجَرَّدَ (رِيشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ)، لاَ يَمْلِكُ فِي تَقْدِيرِ أَمْرِ مَصِيرِهِ شَيْئًا. وَهَذَا المَذْهَبُ يَظْهَرُ عِنْدَ بَعْضِ (الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ)،

وَعِنْدَ فِرْقَةِ (الجَبْرِيَّةِ).

❁❁❁❁❁

وَ(الجَبْرِيَّةُ) هِيَ إِحْدَى الفِرَقِ الكَلَامِيَّةِ المُنْحَرِفَةِ الَّتِي تَقُولُ بـ(الجَبْرِ)، وَ(الجَبْرُ) هُوَ نَفْيُ الفِعْلِ حَقِيقَةً عَنِ العَبْدِ وَإِضَافَتُهُ إِلَى الرَّبِّ؛ بِمَعْنَى أَنَّ العِبَادِ مَجْبُورُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ المَقَالَةِ هُوَ (الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ)، وَأَخَذَهَا عَنْهُ (الجَهْمُ بْنُ صَفْوَان)، فَـ(الجَهْمِيَّةُ) هُمْ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ لِوَاءِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَقَدْ كَانَتْ بِدْعَتُهُمْ هَذِهِ رِدَّةَ فِعْلٍ لِبِدْعَةِ (القَدَرِيَّةِ) (Fatalism) الَّذِينَ غَلَوا فِي نَفْيِ (القَدَرِ).

❁❁❁❁❁

وَ(الجَبْرِيَّةُ) أَصْنَافٌ:

فَـ(الجَبْرِيَّةُ الخَالِصَةُ) لَا تُثْبِتُ لِلْعَبْدِ فِعْلًا وَلَا قُدْرَةً عَلَى الفِعْلِ بِالأَصْلِ.

وَأَمَّا (الجَبْرِيَّةُ المُتَوَسِّطَةُ) فَتُثْبِتُ لِلْعَبْدِ قُدْرَةً غَيْرَ مُؤَثِّرَةٍ؛ فَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ لِلْقُدْرَةِ الحَادِثَةِ أَثَرًا مَا فِي العَقْلِ -وَسَمَّى ذَلِكَ (كَسْبًا)- فَلَيْسَ بِجَبْرِيٍّ، وَ(المُعْتَزِلَةُ) يُسَمُّونَ مَنْ لَمْ يُثْبِتْ لِلْقُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي الإِبْدَاعِ وَالأَحْدَاثِ اسْتِقْلَالًا جَبْرِيًّا، وَقَدْ عَدُّوا (النَّجَّارِيَّةَ) وَ(الضِّرَارِيَّةَ) وَ(الكُلَّابِيَّةَ) مِنَ (الصِّفَاتِيَّةِ)، وَ(الأَشْعَرِيَّةَ) جَبْرِيَّةً.

وَبِالتَّالِي؛ فَنَظَرِيَّةُ (الحَتْمِيَّةِ) يُمْكِنُ تَبَنِّيهَا مِنْ قِبَلِ أَشَدِّ النَّاسِ إِلْحَادًا وَتَمَسُّكًا بِالقَوَانِينِ العِلْمِيَّةِ، كَمَا يُمْكِنُ تَبَنِّيهَا مِنْ قِبَلِ أُنَاسٍ يُؤْمِنُونَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ [فَجَمِيعُ الحَوَادِثِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ مُحَدَّدَةٌ سَلَفًا وَسَتَحْدُثُ ضَرُورَةً]؛

فَيَفْهَمُونَ (القَضَاءَ وَالقَدَرَ) فَهْمًا خَاطِئًا.

وَهِيَ -في الحَقِيقَةِ- انْتِقَالٌ لِلإِنْسَانِ مِنَ العِرْقِ البَشَرِيِّ إِلَى عَالَمِ الآلاَتِ وَالأَلْعَابِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ المِيكَانِيكِيَّةِ [يَسِيرُ بِـ(الرِّيمُوت كُنْتْرُول)] [يُحَرِّكُهُ غَيْرُهُ، وَلاَ قَدْرَة لَهُ عَلَى شَيْءٍ]. وَهِيَ مَبْدَأٌ يَتَّخِذُهُ الإِنْسَانُ الكَسُولُ الخَامِلُ الفَاشِلِ؛ لِيُبَرِّرَ كَسَلَهُ وَفَشَلَهُ.

❁❁❁❁❁

وَمَعَ أَنَّ (العِلْمَ) عِنْدَ اللهِ، وَكُلَّ شَيْءٍ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَالمُؤْمِنُ يَعْلَمُ "أَنَّ مَا أَصَابَهُ مَا كَانَ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَئَهُ مَا كَانَ لِيُصِيبَهُ"؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ بِأَمْرِ رَبِّهِ، .. فَإِنَّ (الإِنْسَانَ) -في الإِسْلاَمِ- لَهُ (حُرِّيَّةُ الاخْتِيَارِ)، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لِلنَّاسِ طَرِيقَ الرُّشْدِ وَطَرِيقَ الضَّلاَلِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَتَرَكَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البَلَد/ ١٠)؛ أَيْ: طَرِيقَي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ..... ﴾ (الكَهْف/ ٢٩).

❁❁❁❁❁

❁ هَلْ تُدْرِكُ مَعْنَى (الحُرِّيَّة)؟

إِنَّهَا أَثْمَنُ شَيْءٍ عِنْدَ أَصْحَابِهَا، وَعِنْدَهُمْ؛ لاَ يُعَدُّ الإِنْسَانُ إِنْسَانًا إِلاَّ بِهَا!

❁❁❁❁❁

إِنَّ وَرَاءَ أَيِّ فِعْلٍ (مَعْقُول) -أَيْ: صَدَرَ بِرَوِيَّةٍ وَتَعَقُّلٍ (لاَ الفِعْل التِّلْقَائِيّ

الغَرِيزِيّ)- وَرَاءَهُ: بَوَاعِث .. وَمُبَرِّرَات .. وَمُسَوِّغَات .. وَأَسْبَاب .. وَدَوَافِع .. وَأَهْوَاء ...

وَتَتَدَخَّلُ فِيهِ: العَوَاطِفُ .. وَالمِيُولُ .. وَالنَّظَرُ[1] وَالتَّصَوُّرَاتُ، .....

---

(١) (النَّظَر)؛ هُوَ: أَنْ يُعْمِلَ الإِنْسَانُ ذِهْنَهُ لِإِثْبَاتِ المَعْلُومَةِ أَوْ نَفْيِهَا.

قَالَ العَلاَّمَة/ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَهَادِرَ الزَّرْكَشِيِّ (ت ٧٩٤هـ) في «البَحْر المُحِيط في أُصُولِ الفِقْه» (١/ ٣٢):

"(النَّظَرُ) لُغَةً: الانْتِظَارُ، وَتَقْلِيبُ الحَدَقَةِ نَحْوَ المَرْئِيِّ، وَالرَّحْمَةُ، وَالتَّأَمُّلُ. وَيَتَمَيَّزُ بِالمُعَدَّى مِنْ حُرُوفِ الجَرِّ.

وَفِي الاصْطِلاَحِ: الفِكْرُ المُؤَدِّي إِلى عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ.

قَالَ إِمَامُ الحَرَمَيْنِ فِي الشَّامِلِ: (الفِكْرُ) هُوَ انْتِقَالُ النَّفْسِ مِنَ المَعَانِي انْتِقَالاً بِالقَصْدِ، وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ بِطَلَبِ عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ؛ فَيُسَمَّى: (نَظَرًا). وَقَدْ لَا يَكُونُ؛ كَأَكْثَرِ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَلَا يُسَمَّى نَظَرًا بَلْ تَخَيُّلاً وَفِكْرًا. وَالفِكْرُ أَعَمُّ مِنَ النَّظَرِ. فَالحَاصِلُ أَنَّ قَصْدَ النَّاظِرِ الانْتِقَالُ مِنْ أَجْزَاءِ الحَدِّ. ...

وَقَالَ الغَزَالِيُّ فِي الاقْتِصَادِ: إِذَا أَرَدْتَ إِدْرَاكَ العِلْمِ المَطْلُوبِ؛ فَعَلَيْكَ وَظِيفَتَانِ: إِحْدَاهُمَا؛ إِحْضَارُ الأَصْلَيْنِ؛ أَيْ: المُقَدِّمَتَيْنِ فِي ذِهْنِكَ. وَهَذَا يُسَمَّى فِكْرًا. وَالآخَرُ يَسُوقُكَ إِلى التَّفَطُّنِ؛ لِوِجْهَةِ لُزُومِ المَطْلُوبِ مِنِ ازْدِوَاجِ الأَصْلَيْنِ، وَهَذَا يُسَمَّى: طَلَبًا. ..."أ.هـ. بِاخْتِصَارٍ.

وَقِيلَ: «النَّظَرُ»؛ هُوَ: الفِكْرُ فِي حَالِ المَنْظُورِ فِيهِ [يَعْنِي: طَلَب الدَّلِيلِ مِنَ المَنْظُورِ فِيهِ]؛=

وَالإِدْرَاكَاتُ[1] ... كَمَا تَتَدَخَّلُ فِيهِ: الشُّرُوطُ .. وَالظُّرُوفُ .. وَالقُوَى

=لِيُؤَدِّيَ إِلَى المَطْلُوبِ سَوَاءٌ كَانَ المَطْلُوبُ عِلْمًا أَيْ يقينا أَوْ ظَنًّا.

وَ(الفِكْرُ) قَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ مَا يُصَدَّقُ بِهِ وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ؛ كَقَوْلِنَا الرِّبَا حَرَامٌ، وَقَدْ يَكُونُ (الفِكْرُ) مِنْ جِهَةِ تَصَوُّرٍ مَا وَلاَ يُحْكَمُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِعَدَمِ الاسْتِدْلاَلِ.

(١) (الإِدْرَاك) أَوْ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ تَحْدِيدًا (الإِدْرَاك الحِسِّيّ Perception) مُصْطَلَحٌ يُطْلَقُ عَلَى (العَمَلِيَّةِ العَقْلِيَّةِ) الَّتِي نَعْرِفُ بِوَاسِطَتِهَا العَالَمَ الخَارِجِيَّ الَّذِي نُدْرِكُهُ؛ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ (المُثِيرَاتِ الحِسِّيَّةِ) المُخْتَلِفَةِ، وَلاَ يَقْتَصِرُ (الإِدْرَاك) عَلَى مُجَرَّدِ إِدْرَاكِ الخَصَائِصِ الطَّبِيعَةِ لِلأَشْيَاءِ المُدْرِكَةِ، وَلَكِنْ يَشْمَلُ إِدْرَاكَ المَعْنَى وَالرُّمُوزِ الَّتِي لَهَا دَلاَلَةٌ بِالنِّسْبَةِ (لِلْمُثِيرَاتِ الحِسِّيَّةِ).

فَعَمَلِيَّةُ تَلَقِّي، وَتَفْسِيرِ وَاخْتِيَارِ وَتَنْظِيمِ (المَعْلُومَاتِ الحِسِّيَّةِ)؛ هِيَ مَا نَدْعُوهُ بِـ(الإِدْرَاك الحِسِّيّ) أَوِ (التَّحَسُّسِ) فِي عِلْمِ النَّفْسِ وَعُلُومِ الاسْتِعْرَافِ.

يُدْرَسُ (الإِدْرَاكُ الحِسِّيُّ) بِطُرُقٍ تَتَرَاوَحُ مِنَ البُيُولُوجِيَّةِ إِلَى النَّفْسَانِيَّةِ، وَحَتَّى الطُّرُقِ التَّجْرِيدِيَّةِ؛ مِثْل (التَّجَارِبِ الفِكْرِيَّةِ thought-experiment) لِـ(فَلْسَفَةِ العَقْلِ).

إِنَّ العَدِيدَ مِنْ (عُلَمَاءِ النَّفْسِ الاسْتِعْرَافِيِّينَ) يُصَرِّحُونَ أَنَّنَا كَبَشَرٍ، عِنْدَمَا نَتَجَوَّلُ فِي العَالَمِ المُحِيطِ بِنَا، إِنَّمَا نَبْنِي نَمُوذَجَنَا الخَاصَّ لِكَيْفِيَّةِ سَيْرِ هَذَا العَالَمِ. نَحْنُ نَحُسُّ بِعَالَمِنَا المَوْضُوعِيِّ الحَقِيقِيِّ، لَكِنَّ إِحْسَاسَاتِنَا يَتِمُّ إِسْقَاطُهَا (تَحْوِيلُهَا) إِلَى مُدْرَكَاتٍ مُؤَقَّتَةٍ احْتِيَاطِيَّةٍ provisional كَمَا نُكَوِّنُ العَدِيدَ مِنَ الفَرْضِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ المُؤَقَّتَةِ لِحِينِ إِثْبَاتِهَا أَوْ دَحْضِهَا.

وَعِنْدَمَا نَسْتَقْبِلُ (مَعْلُومَاتٍ حِسِّيَّةً) جَدِيدَةً؛ تَتَغَيَّرُ مُدْرَكَاتُنَا وِفْقًا لَهَا. إِنَّ (أَبْرَاهَام بَايِز) كَانَ

=يُؤَكِّدُ دَوْمًا عَلَى هَذِهِ الطَّبِيعَةِ اللَّدِنَةِ (لِلْخَيَالِ الإِنْسَانِيِّ). وَفِي حَالَةِ (الإِدْرَاكِ الحِسِّيِّ) يُمْكِنُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَرَوْا حَقِيقَةَ التَّغَيُّرِ فِي (المُدْرَكِ البَصَرِيِّ) بِمَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ (عُيُونٍ عَقْلِيَّةٍ). لَكِنَّ الأَشْخَاصَ الآخَرِينَ الَّذِينَ لاَ يَتَمَتَّعُونَ بِتَفْكِيرٍ صُورِيٍّ لاَ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَحُسُّوا perceive حَقِيقَةً بِتَغَيُّرِ الشَّكْلِ المُرَافِقِ لِتَغَيُّرِ عَالَمِهِمْ. أَحَدُ أَمْثِلَةِ هَذِهِ الحَالَةِ هِيَ (الصُّوَرُ المُلْتَبِسَةُ ambiguous image) الَّتِي تَمْلِكُ أَكْثَرَ مِنْ تَفْسِيرٍ عَلَى المُسْتَوَى الإِدْرَاكِيِّ.

فِي هَذِهِ الحَالَةِ نَمْلِكُ جِسْمًا وَاحِدًا يُمْكِنُ أَنْ يُنْتِجَ أَكْثَرَ مِنْ مُدْرَكٍ وَاحِدٍ، بِالتَّالِي يُمْكِنُ أَنْ نَجِدَ أَنَّ جِسْمًا مَا يُمْكِنُ أَلاَّ يُنْتِجَ أَيَّ مُدْرَكٍ عَلَى الإِطْلاَقِ: إِذَا كَانَ المُدْرَكُ غَيْرَ مَوْجُودٍ أَسَاسًا ضِمْنَ خِبْرَةِ الشَّخْصِ، وَعِنْدَئِذٍ يُمْكِنُ لِلشَّخْصِ أَلاَّ يُدْرِكَهُ إِطْلاَقًا.

إِنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ المُلْتَبِسَةَ المُحَيِّرَةَ لِلإِدْرَاكِ الحِسِّيِّ يُمْكِنُ أَنْ تَظْهَرَ فِي بَعْضِ التِّقْنِيَّاتِ الحَيَوِيَّةِ الَّتِي تَسْتَخْدِمُهَا الأَحْيَاءُ فِي الطَّبِيعَةِ؛ مِثْل: التَّقْلِيدِ وَالتَّمْوِيهِ.

❁ وَ(الإِدْرَاك) فِي الاصْطِلاَحِ: وُصُولُ النَّفْسِ إِلَى المَعْنَى بِتَمَامِهِ. [يَعْنِي: (كَلِمَة «بَيْت») أَنْتَ مُتَصَوِّرٌ الكَلِمَةَ وَأَنَّهَا لاَ تَقَعُ مَثَلاً عَلَى «السَّيَّارَةِ»].

لَكِنْ؛ كَلِمَة (خَنْدَرِيس)؛ هَلْ تُدْرِكُهَا؟ الجَوَابُ: لاَ. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الخَمْرِ أَخَذْتَ تَصَوُّرًا صَحِيحًا وَعِلْمًا بِهَا.

فَإِنْ كَانَ لاَ بِتَمَامِهِ؛ أَيْ: مُتَرَدِّدًا فِيهِ أَوْ شَاكًّا أَوْ عِنْدَهُ بَعْضُ المَعْنَى؛ هَذَا يُسَمَّى (شُعُورًا)، وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ (الإِدْرَاكِ)، وَ(الإِدْرَاكُ) قَدْ يَكُونُ لِمُفْرَدٍ، وَقَدْ يَكُونُ لِمُرَكَّبٍ (جُمْلَة اسْمِيَّة أَوْ فِعْلِيَّة).

إِنْ كَانَ مُتَعَلَّقُ (الإِدْرَاك): المُفْرَد؛ فَيُسَمَّى (تَصَوُّرًا). وَإِنْ كَانَ مُتَعَلَّقُ (الإِدْرَاك):=

الخَارِجِيَّةِ .. وَمَا هُوَ مُمْكِنٌ ...

وَهَذَا كُلُّهُ فِي ذَاتِهِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ (الضَّعْفِ الإِنْسَانِيِّ) [وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ إِلاَّ كَذَلِكَ].

❁❁❁❁❁

وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ؛ فَأَنْتَ -عِنْدَكَ- "القُدْرَةُ الذَّاتِيَّةُ الحَقِيقِيَّةُ" لِـ: تَكْوِينِ نَفْسِكَ، وَاخْتِيَارِ أُسْلُوبِكَ فِي الحَيَاةِ، وَأَنْ تَكُونَ (الإِنْسَانَ) .. (الشَّخْصَ) الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ. .. إِنَّهُ أَنْتَ الَّذِي يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ أَنْ يَتَأَخَّرَ .. أَنْ يَثُورَ أَوْ يَتَقَوْقَعَ .. أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ "الإِنْسَانِ" أَوْ أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ "الأَشْيَاءِ" [أَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَ "شَيْءٍ"؛ يَفْعَلُ بِكَ غَيْرُكَ مَا يَشَاءَ].

إِنَّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ (مَطْرَقَةً) تَضْرِبُ، أَوْ أَنْ تَكُونَ (سِنْدِيَانًا) يَتَلَقَّى الضَّرَبَاتِ، أَوْ .. أَنْ تَكُونَ (مُسَالِمًا) بَعِيدًا عَنْ هَذَا وَذَاكَ!!

إِنَّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ (سَلْبِيًّا) أَوْ أَنْ تَكُونَ (إِيجَابِيًّا) ... يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ شَخْصًا (اجْتِمَاعِيًّا)، أَوْ أَنْ تَكُونَ (انْطِوَائِيًّا) ... تَتَفَاعَلُ مَعَ النَّاسِ

=المُرَكَّبَاتِ؛ نُسَمِّيهِ (تَصْدِيقًا)، وَ(التَّصْدِيقُ) هَذَا أَحَدُ احْتِمَالاَتِ (الخَبَرِ)، وَالكَلاَمُ يَنْقَسِمُ إِلى خَبَرٍ وَإِنْشَاءٍ. وَ(الخَبَرُ): مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالكَذِبَ، وَهُوَ نَفْسُهُ مُتَعَلَّقُ الإِدْرَاكِ المُرَكَّبِ.

إِنَّ عَمَلِيَّةَ (الإِدْرَاكِ) فِي جَوْهَرِهَا عَمَلِيَّةٌ جَمَالِيَّةٌ ذَاتُ غَايَةٍ جَمَالِيَّةٍ فِي ذَاتِهَا!.

وَالأَحْدَاثِ، أَوْ .. لاَ تَتَفَاعَلُ.

أَنْتَ حُرٌّ .. في عَوَاطِفِكَ وَأَحَاسِيسِكَ وَانْفِعَالاَتِكَ ..

أَنْتَ حُرٌّ .. في أَهْوَائِكَ وَرَغَبَاتِكَ.

حُبُّكَ وَخَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ .. يَصْدُرُ عَنْكَ وَتُحَاسَبُ عَلَيْهِ (إِنْ كَانَ بِإِرَادَتِكَ) .. (إِرَادَتُكَ الحُرَّةُ)، انْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: "اللَّهُمَّ! هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلُكُ، فَاغْفِرْ لِي مَا لاَ أَمْلُكُ".

وَأَمَّا الخَوْفُ (الغَرِيزِيِّ) -مَثَلاً- فَلاَ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ؛ كَالخَوْفِ (الطَّبْعِيِّ) مِنْ حَيَوانٍ وَحْشِيٍّ كَاسِرٍ كَالأَسَدِ وَالحَيَّةِ ....، كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۞ قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى﴾ (طه/ ٦٥ -٦٨).

۞۞۞۞۞

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: "لاَ تَتَمَنَّى مَوْقِفًا لَمْ يُوَفِّقْكَ اللهُ فِيهِ، إِنَّ قَوْمًا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ وَكَفَرُوا بِهِ".

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: "مَعَ الصَّبِّ رِيٌّ وَلاَ مَاء، وَكَمْ مِنْ عَطْشَانٍ فِي اللُّجَّةِ. آمَنَ قُسٌّ [وَهُوَ: قُسُّ بْنُ سَاعِدَة، وَكَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام] وَلَمْ يَرَ الرَّسُولَ، وَكَفَرَ ابْنُ أُبَيٍّ [وَهُوَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ أَبِي سَلُولٍ؛ رَأْسُ

النِّفَاقِ] وَقَدْ صَلَّى خَلْفَهُ".

❁❁❁❁❁

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَ ثَوَابًا لِعَمَلٍ لَمْ تَعْمَلْهُ .. أَوْ تَتَحَمَّلَ وِزْرًا لَمْ تَعْمَلْهُ ... لأَنَّكَ فَرِحْتَ بِهَذَا العَمَلِ أَوْ ذَاكَ، أَوْ كَرِهْتَهُ.

❁❁❁❁❁

(الاخْتِيَارُ) هُوَ "إِرَادَةٌ تَقَدَّمَتْهَا رُؤْيَةٌ (رَوِيَّةٌ) مَعَ تَمْيِيزٍ." [كَمَا فِي (المُقَابَسَات) لأَبِي حَيَّان التَّوْحِيدِيِّ (ص ٣١٤ ـ ٣١٥)]

وَ(الفِعْل) هُوَ "مَا يَصْدُرُ عَنِ الإِرَادَةِ حَقِيقَةً".

وَ(الفَاعِلُ) هُوَ "مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ الفِعْلُ مَعَ الإِرَادَةِ لِلْفِعْلِ عَلَى سَبِيلِ الاخْتِيَارِ، وَمَعَ العِلْمِ بِالمُرَادِ". [كَمَا فِي (تَهَافُت الفَلاَسِفَة) لأَبِي حَامِدٍ الغَزَالِيِّ]

فَأَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَخْتَارَ بَيْنَ (الاحْتِمَالاَتِ المُخْتَلِفَةِ)، وَحَتَّى إِذَا عَمِدْتَ إِلَى الكَفِّ عَنْ (الاخْتِيَارِ)؛ فَهَذَا فِي ذَاتِهِ ضَرْبٌ وَنَوْعٌ مِنَ (الاخْتِيَارِ).

فَـ(الإِنْسَانُ) مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ (الاخْتِيَارَاتِ) الَّتِي اخْتَارَهَا بِـ(إِرَادَتِهِ الحُرَّةِ) دُونَ قَسْرٍ أَوْ إِكْرَاهٍ. وَسَيُحَاسَبُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

إِنَّكَ لاَ تُحَاسَبُ إِلاَّ عَلَى (الاخْتِيَارِ) بَيْنَ (المُمْكِنَات) (المُسْتَطَاعَةِ) .. وَمَا لَيْسَ بِمُمْكِنٍ وَلاَ مُسْتَطَاعٍ؛ فَلاَ تُحَاسَبُ عَلَيْهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ (البَقَرَة/٢٨٦).

وَقَالَ تَعَالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطَّلَاق/٧).

وَقَالَ تَعَالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التَّغَابُن/١٦).

❁❁❁❁❁

فَالسُّؤَالُ هُوَ:

هَلَ هَذَا (الشَّيْءُ) (مَوْجُودٌ)؟ ..

وَإِنْ كَانَ (مَوْجُودًا)؛ هَلْ هَذَا (المَوْجُودُ) (مُمْكِنٌ لَكَ)؟ ..

وَإِنْ كَانَ (غَيْرَ مَوْجُودٍ)؛ هَلْ يُمْكِنُكَ إِيجَادُهُ؟

وَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْتَطِيعُ إِيجَادَهُ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَعِينَ بِمَنْ يَسْتَطِيعُ؟

وَهَلْ هُوَ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) الآنَ، أَمْ هُوَ (مُسْتَحِيلٌ) لاَ يُمْكِنُ أَبَدًا؟

[وَلاَبُدَّ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ: الصَّعْبِ، وَالمُسْتَحِيلِ]

وَهَلْ هُوَ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) لِي (أَنَا)، أَمْ (غَيْرُ مُمْكِنٍ) لِـ(غَيْرِي) أَيْضًا؟

فَالسُّؤَالُ: مَا الَّذِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ بِنَفْسِي أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يُساعِدَنِي غَيْرِي فِي فِعْلِهِ؟

❁❁❁❁❁

وَلَكِنْ .. مَا السَّبِيلُ إِلى أَنْ تُحْسِنَ "الاخْتِيَارِ"؟

إِنَّ الإِنْسَانَ كَثِيرًا مَا يَشْعُرُ بِـ(القَلَقِ)؛ قَبْلَ.. وَأَثْنَاءِ، .. وَبَعْدَ .. (الاخْتِيَارِ) .. إِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ أَوْ يَسْأَلُ غَيْرَهُ: هَلْ أَحْسَنْتُ (الاخْتِيَارَ) أَمْ أَسَأْتُ؟

إِنَّهُ قَدْ يَشْعُرُ قَبْلَ الإِقْدَامِ عَلَى (الاخْتِيَارِ) أَنَّهُ أَمَامَ هُوَّةٍ سَحِيقَةٍ أَوْ لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ لاَ بَارِقَةَ فِيهِ.

❁❁❁❁❁

وَقَبْلَ أَنْ أُجِيبَ عَلَى هَذَا؛ أَقُولُ:

إِنَّ (القَلَقَ) فِي ذَاتِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنِ اخْتِيَارَاتِهِ.

وَأَقُولُ: لاَ سَبِيلَ إِلَى الوُصُولِ إِلى الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ إِلاَّ بِرَفْعِ (الجَهْلِ) ... إِلاَّ بِـ(العِلْمِ) .. العِلْمُ بِاللهِ، وَالقُرْبُ مِنْهُ ﷻ؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ (الرَّعْد/٢٨، ٢٩).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ".

وَقَالَ ﷺ: "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ...".

❁❁❁❁❁

إِنَّ مَنْ يَنْخَلِعَ مِنْ عِبَادَةِ "اللهِ" يَصِيرُ عَبْدًا لأَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ، بَلْ رُبَّمَا صَارَ عَبْدًا لِكُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ [وَهُوَ ثَوْبُ خَزٍّ أَوْ صُوفٍ مُعَلَّم]، [وَزَادَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (القَطِيفَة): وَهُوَ كِسَاءٌ لَهُ خُمْلٌ]؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

❁❁❁❁❁

نَعَمْ! .. أَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ (حُرِّيَّتِكَ) لِمَنْ تَشَاءُ. ...

فَهُنَاكَ مَنْ يَتَخَلَّى -بِالفِعْلِ- عَنْ حُرِّيَّتِهِ؛ مِثْلُ هَذَا الَّذِي يَتْرُكُ أَمْرَهُ بِيَدِ غَيْرِهِ يُوَجِّهُهُ وَيُسَيِّرُهُ كَيْفَ يَشَاءُ!!

وَكَتِلْكَ الشُّعُوبِ الَّتِي تَرْضَى أَنْ تُسْتَعْبَدَ، وَتَخْضَعَ وَتَخْنَعَ لِذَلِكَ؛ مِثْلُ (شَعْبُ فِرْعَوْنَ) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزُّخْرُف/ ٥٤)؛ أَيْ: اسْتَخَفَّ عُقُولَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ وَالاعْتِرَافِ لَهُ بِالإِلَهِيَّةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى التَّصْدِيقِ بِمَا قَالَهُ بِقِلَّةِ عُقُولِهِمْ وَسَخَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَعَشَتْ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ وَالنُّورِ؛ فَفِسْقُهُمْ هُوَ عِلَّةُ طَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ قَوْمًا صَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، وَفِي قَوْلِهِ:

﴿يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾؛ مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ وَأَضَلِّهِمْ، وَلاَ يَمْلِكُ الطَّاغِيَةُ أَنْ يَفْعَلَ بالجَمَاهِيرِ هَذِهِ الفِعْلَةَ إِلاَّ وَهُمْ فَاسِقُونَ لاَ يَسْتَقِيمُونَ عَلَى طَرِيقٍ، وَلاَ يُمَسِّكُونَ بحَبْلِ اللهِ، وَلاَ يَزِنُونَ بمِيزَانِ الإِيمَانِ. فَأَمَّا المُؤْمِنُونَ؛ فَيَصْعُبُ خِدَاعُهُمْ وَاسْتِخْفَافُهُمْ وَاللَّعِبُ بِهِمْ كَالرِّيشَةِ في مَهَبِّ الرِّيحِ.

❁❁❁❁❁

وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ (الحُرِيَّةَ المُطْلَقَةَ) لاَ وُجُودَ لَهَا.

❁❁❁❁❁

فَالاخْتِيَارُ لَكَ! ...

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِمَوْلاَكَ، أَوْ .. أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِهَوَاكَ!

وَلاَ إِكْرَاهَ في عِبَادَةِ (اللهِ) وَ ..﴿لاَ إِكْرَاهَ في الدِّينِ﴾ [طَالَمَا لَمْ تَدْخُلْ في الإِسْلاَمِ، وَتَجْعَلْهُ لُعْبَةً؛ فَتَرْتَدُّ عَنْهُ، فَيَرْتَدُّ بِرِدَّتِكَ آخَرُونَ مِنْ ضِعَافِ الإِيمَانِ]؛ فَـ(الإِكْرَاهُ) لاَ يَنْتُجُ عَنْهُ إِيمَانٌ؛ وَلَكِنْ نِفَاق، وَالإِسْلاَمُ لاَ يَرْضَى بالنِّفَاقِ.

وَ(عَدَمُ الإِكْرَاهِ) هُوَ احْتِرَامُ إِرَادَةِ الإِنْسَانِ وَفِكْرَهُ وَمَشَاعِرَهُ.

❁❁❁❁❁

إِنَّ (حُرِّيَّةَ الاعْتِقَادِ) هِيَ أَوَّلُ (حُقُوقِ الإِنْسَانِ) كَـ(إِنْسَانٍ). [وَلَكِنْ؛ كَمَا حَدَّدَهَا (الإِسْلاَمُ)، لاَ تِلْكَ (الحُرِّيَّة) (المُطْلَقَة) بِلاَ قُيودٍ؛ كَمَا يُرِيدُهَا المُتَلاَعِبُونَ بَالأَدْيَانِ وَهَؤُلاَءِ الزَّنَادِقَةُ وَالمُلْحِدُونَ ...]

وَلَكِنْ لاَ تَعْنِي (الحُرِّيَّةُ) الخُرُوجَ عَلَى (شَرْعِ اللهِ)؛ بَلْ .. (شَرْعُ اللهِ) هُوَ الَّذِي تَشْعُرُ بِحُرِّيَّتِكَ مِنْ خِلاَلِهِ، فَهَذَا الدِّينُ يَبْنِي القِيمَةَ الذَّاتِيَّةَ لِلْفَرْدِ مَعَ الحِفَاظِ عَلَى تَمَاسُكِ المُجْتَمَعِ.

فَعُبُودِيَّتُكَ لِلَّهِ هِيَ الَّتِي تَمْنَحُكَ التَّحَرُّرَ مِنْ عُبُودِيَّةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالهَوَى، بَلْ تُحَرِّرُكَ مِنْ عُبُودِيَّةِ كُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيءٍ فِي الأَرْضِ.

وَنَحْنُ نَمْلِكُ فِي شَرِيعَتِنَا قَوَاعِدَ وَأُصُولَ سَامِيَةً فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ المُوَافِقِ وَالمُخَالِفِ فِي العَقِيدَةِ وَالفِكْرِ، وَلَكِنْ جَهْلُ بَعْضِهِمْ بِهَذِهِ القَوَاعِدِ جَعَلَهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَى الإِسْلاَمِ بِأَنَّهُ يُحَارِبُ أَوْ يُقْصِي حُقُوقَ الآخَرِينَ، وَهَذَا حُكْمٌ ظَالِمٌ، فَالعَالَمُ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى (الحُرِّيَّةِ) وَحُقُوقِ الإِنْسَانِ إِلاَّ بَعْدَ بُزُوغِ فَجْرِ الإِسْلاَمِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ تَطْبِيقٌ خَاطِئٌ نَتِيجَةَ هَجْرِ القَوَاعِدِ الكُلِّيَّةِ القِيِّمَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ الآخَرِ أَيًّا كَانَ هَذَا الآخَرُ؛ فَلاَ يُنْسَبُ هَذَا الخَطَأُ إِلَى الإِسْلاَمِ بَلْ لِفَاعِلِ الخَطَأِ.

❁❁❁❁❁

وَالسُّؤَالُ الآنَ:

هَلْ تَحَرَّرَ عَقْلُكَ مِنْ (عُبُودِيَّةِ): الأَهْوَاءِ، وَالغَرَائِزِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالجَهْلِ؟ ...

فَبِقَدْرِ سِمِوِّكَ بِنَفْسِكَ فَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ .. تَكُونُ حُرِّيَّتُكَ.

❁❁❁❁❁

"(الوُجُودُ يَسْبِقُ المَاهِيَّةَ) ... وَالإِنْسَانُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهَا!"

هَلْ عِنْدَكَ طُمُوحٌ؟ ...

مَا (الشَّخْصُ) الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَكُونَهُ؟

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِنْسَانَ) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَسِيرًا لِـ(مَاضِيهِ)، وَمُتَقَوْقِعًا فِي (حَاضِرِهِ) ... وَيُمْكِنُ أَنْ لاَ يَكُونَ كَذَلِكَ!

إِنَّهُ .. يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ حَيَاتَهُ، وَأَنْ يَكُونَ شَخْصًا جَدِيدًا؛ كَمَا يُرِيدُ!!!

مَا فَعَلْتَهُ مَرَّةً؛ لاَ يَعْنِي أَنْ تَسْتَمِرَّ فَتَفْعَلُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ!!!

الصَّحَابَةُ تَغَيَّرَتْ حَيَاتُهُمْ تَمَامًا: مِنَ الجَاهِلِيَّةِ إِلَى الإِسْلاَمِ .. مِنْ عِبَادَةِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالصَّنَمِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ الرَّحْمَنِ .. مِنْ رُعَاةٍ لِلإِبِلِ وَالْغَنَمِ إِلَى رُعَاةٍ وَقَادَةٍ وَسَادَةٍ لِلأُمَمِ.

فَـ"الإِسْلاَمُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا" ...

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزُّمَر/٥٣).

❁❁❁❁❁

وَانْظُرْ كَيْفَ وَاجَهَ الصَّحَابَةُ ﷺ الصُّعُوبَاتِ الشَّدِيدَةَ وَالظُّرُوفَ القَاسِيَةَ الَّتِي وَاجَهُوهَا؛ وَلَمْ تَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى مَا أَصْبَحُوا عَلَيْهِ فَأَصْبَحُوا مِلْءَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ.

فَهَذَا مَثَلاً (ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) ﷺ؛ اسْمُهُ عَمْرو، وَقِيلَ: كَانَ اِسْمُهُ الْحُصَيْنُ

فَسَمَّاهُ النَّبِيّ ﷺ: عَبْدَ اللهِ، وَلاَ يَمْتَنِعُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ اِسْمَانِ، وَهُوَ قُرَشِيٌّ عَامِرِيٌّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَالأَشْهَرُ فِي اِسْمِ أَبِيهِ: (قَيْسُ بْنُ زَائِدَةَ). وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْرِمُهُ وَيَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ فَاسْتُشْهِدَ بِهَا، وَقِيلَ: رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَة فَمَاتَ، وَهُوَ الأَعْمَى الْمَذْكُور فِي سُورَةِ (عَبَسَ)، وَاسْمُ أُمِّهِ: (عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ الْمَخْزُومِيَّةَ). وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى فَكُنِّيَتْ أُمُّهُ (أُمَّ مَكْتُومٍ)؛ لانْكِتَامِ نُورِ بَصَرِهِ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهُ عَمِيَ بَعْدَ بَدْرٍ بِسَنَتَيْنِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ أَصْبَحَ فِي أَعْلَى المَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ؛ فَهُوَ مُؤَذِّنُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمِيرُ المَدِينَةِ، بَلْ مُجَاهِدًا فَمَاتَ شَهِيدًا ﷺ!!!

❁❁❁❁❁

وَتِلْكَ المَرْأَةُ العَمْيَاءُ الصَّمَّاءُ البَكْمَاءُ (Helen Adams Keller) (هِيلِين كِيلَر) (٢٧ يُونْيُو ١٨٨٠ - ١ يُونْيُو ١٩٦٨)، وُلِدَتْ فِي وِلاَيَةِ "أَلاَبَامَا" الأَمْرِيكِيَّةِ، وَتُوُفِّيَتْ عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَثَمَانِينَ عَامًا.

قَالَ عَنْهَا الأَدِيبُ "مَارْك تُوِين" (١٨٣٥-١٩١٠):

"إِنَّ أَعْظَمَ شَخْصِيَّتَيْنِ فِى القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ؛ هُمَا: (نَابلْيُون بُونَابَرْت)، وَ(هِيلِين كِيلَر)".

وَهِيَ أَدِيبَةٌ وَمُحَاضِرَةٌ وَنَاشِطَةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ، وَلَمْ تَسْتَسْلِمْ لِتِلْكَ الإِعَاقَاتِ الَّتِي حَلَّتْ بِهَا؛ وَاَصْبَحَتْ عَالِمَةً، وَهِيَ تُعْتَبَرُ مُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ الدُّنْيَا

وَإِحْدَى رُمُوزِ الإِرَادَةِ الإِنْسَانِيَّةِ ؛ حَيْثُ إِنَّهَا كَانَتْ فَاقِدَةَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، [وَلَمْ تُولَدْ (هِيلِين كِيلَر) عَمْيَاءَ وَلاَ صَمَّاءَ؛ لَكِنَّهَا أُصِيبَتْ بِذَلِكَ لِمَرَضِهَا بَعْدَ بُلُوغِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَظَلَّتْ صَمَّاءَ وَبَكْمَاءَ وَعَمْيَاءَ؛ إِلَى أَنْ بَلَغَتِ السَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِهَا]، فَتَعَلَّمَتْ، وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى إِعَاقَتِهَا، وَتَمَّ تَلْقِيبُهَا بِـ(مُعْجِزَةِ الإِنْسَانِيَّةِ) لِمَا قَاوَمَتْهُ مِنْ إِعَاقَتِهَا حَيْثُ أَنَّ مُقَاوَمَةَ تِلْكَ الظُّرُوفِ كَانَتْ بِمَثَابَةِ مُعْجِزَةٍ.

❁❁❁❁❁

مِمَّا قَالَتْهُ فِي أَحَدِ كُتُبِهَا:

"كُنْ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ دَائِمًا، وَلاَ تُفَكِّرْ فِي إِخْفَاقَاتِ اليَوْمَ؛ وَلَكِنِ اهْتَمَّ بِالنَّجَاحَاتِ الَّتِي رُبَّمَا تَأْتِي فِي الغَدِ القَرِيبِ".

وَمِنْ أَقْوَالِهَا أَيْضًا:

"إِنَّ العَمَى لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِنَّ الصَّمَمَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَكُلُّنَا -فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ- عُمْيٌ وَصُمٌّ عَنِ الجَلاَئِلِ الخَالِدَةِ فِي هَذَا الكَوْنِ العَظِيمِ".

وَمِنْ كَلِمَاتِ (هِيلِين) أَيْضًا الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِهَا:

"يَتَعَجَّبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا أَقُولُ لَهُمْ بِأَنِّي سَعِيدَةٌ، فَهُمْ يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ النَّقْصَ فِي حَوَاسِي عِبْءٌ كَبِيرٌ عَلَى ذِهْنِي يَرْبِطُنِي دَائِمًا بِصَخْرَةِ اليَأْسِ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَبْدُو لِي أَنَّ عَلاَقَةَ السَّعَادَةِ بِالحَوَاسِ صَغِيرَةٌ جِدًّا،

فَإِنَّنَا إِذَا قَرَّرْنَا فِي أَذْهَانِنَا أَنَّ هَذَا العَالَمَ تَافِهٌ يَسِيرُ جُزَافًا بلاَ غَايَةٍ فَإِنَّهُ يَبْقَى كَذَلِكَ وَلَمْ تَتَبَدَّلْ صُورَتُهُ [وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ لِغَايَةٍ]، بَيْنَمَا نَحْنُ إِذَا اعْتَقَدْنَا أَنَّ هَذَا العَالَمَ لَنَا خَاصَّةً وَأَنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ يَتَعَلَّقَانِ فِي الفَضَاءِ لِنَتَمَتَّعَ بِهِمَا؛ فَإِنَّ هَذَا الاعْتِقَادَ يَمْلأُنَا سُرُورًا لأَنَّ نُفُوسَنَا تَتَمَجَّدُ بالخَلْقِ وَتُسَرُّ بِهِ كَأَنَّهَا نَفْسُ رَجُلِ الفَنِّ.

وَالحَقُّ أَنَّهُ مِمَّا يَكْسِبُ هَذِهِ الحَيَاةَ كَرَامَةً وَوَجَاهَةً أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّنَا وُلِدْنَا لِكَيْ نُؤَدِّيَ أَغْرَاضًا سَامِيَةً وَأَنَّ لَنَا حَظًّا يَتَجَاوَزُ الحَيَاةَ المَادِّيَّةَ".

وَقَالَتْ (هِيلِين) أَيْضًا:

"إِذَا اعْتَرَضَ عَلَيَّ شَخْصًا؛ مُتَسَائِلاً: أَلاَ تَسْأَمِينَ مِنْ وِحْدَةِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تَمَسِّينَهَا؛ وَأَنْتِ لاَ تَرِينَ اخْتِلاَفَ الضَّوْءِ وَالظَّلاَمِ عَلَيْهَا؟ أَلَيْسَتِ الأَيَّامُ كُلُّهَا سَوَاءً لَدَيْكِ؟

سَوْفَ أَقُولُ: كَلاَّ؛ إِنَّ أَيَّامِي كُلَّهَا مُخْتَلِفَةٌ، فَلَيْسَتْ هُنَاكَ سَاعَةٌ تُشْبِهُ أُخْرَى عِنْدِي؛ فَإِنِّي بِحَاسَّةِ اللَّمْسِ أَشْعُرُ بِجَمِيعِ التَّغَيُّرَاتِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَى الجَوِّ، وَإِنِّي مُتَأَكِّدَةٌ بِأَنَّ الأَيَّامَ تَخْتَلِفُ عِنْدِي بِمِقْدَارِ اخْتِلاَفِهَا عِنْدَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَلاَ يُبَالُونَ بِجَمَالِهَا بَلْ يَرْصُدُونَهَا لِيَقِفُوا مِنْهَا: هَلْ تُمْطِرُ أَمْ لاَ؟.

وَفِي بَعْضِ الأَيَّامِ تَنْسَكِبُ الشَّمْسُ فِي مَكْتَبِي فَأَشْعُرُ بِأَنَّ مَسَرَّاتِ الحَيَاةِ قَدِ احْتَشَدَتْ فِي كُلِّ شُعَاعٍ مِنْ أَشِعَّتِهَا.

وَهُنَاكَ أَيَّامٌ يَنْزِلُ فِيهَا المَطَرُ؛ فَأَشْعُرُ كَأَنَّ ظِلاًّ يَتَعَلَّقُ بي وَتَنْتَشِرُ رَائِحَةَ الأَرْضِ الرَّطِبَةِ في كُلِّ مَكَانٍ.

وَهُنَاكَ أَيَّامُ الصَّيْفِ المُخَدَّرَةُ حِينَ يَهُبُّ النَّسِيمُ العَلِيلُ وَيُغْرِينِي بالخُرُوجِ إِلَى مِظَلَّتِي حَيْثُ أَتَمَدَّدُ وَأَحْلُمُ بالزَّهْرِ يَغْشَاهُ النَّحْلُ.

وَهُنَاكَ سَاعَاتُ العَجَلَةِ وَالازْدِحَامِ حِينَ تَحْتَشِدُ الخِطَابَاتُ عَلَى مِنْضَدَتِي. ثُمَّ سَاعَاتٌ لاَ نِهَايَةَ لَهَا تَخْتَلِفُ وَتَتَّفِقُ مَعَ المُفَكِّرِينَ وَالشُّعَرَاءِ.

وَكَيْفَ أَسْأَمُ مَا دَامَتِ الكُتُبُ حَوْلِي".

كَمَا تَتَحَدَّثُ (هِيلِين) عَنْ (حَاسَّةِ الشَّمِّ) لَدَيْهَا؛ فَتَقُولُ: "إِنَّ حَاسَّةَ الشَّمِّ لَدَيَّ مِنْ أَثْمَنِ وَأَهَمِّ مَا أَمْلِكُهُ في حَيَاتِي اليَوْمِيَّةِ فَإِنَّ الجَوَّ مُمْتَلِئٌ بالرَّوَائِحِ الَّتِي لاَ حَصْرَ لَهَا أَعْرِفُ مِنْهَا الأَمَاكِنَ وَالأَشْيَاءَ".

❁❁❁❁❁

وَغَيْرُ (هِيلِين) كَثِيرُونَ؛ مِمَّنِ انْتَصَرُوا عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ (إِعَاقَاتٍ)!!

❁❁❁❁❁

فَـ"الإِنْسَانُ" يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ "مَاهِيَّتَهُ" (أَيْ: شَخْصِيَّتَهُ) ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَجَّرَ في صُورَةٍ ثَابِتَةٍ .. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَغَيَّرَ..

وَهَذَا مَا يُمَيِّزُهُ عَنِ الحَيَوَانِ، بَلْ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ (الأَشْيَاءِ) ..

إِنَّهُ "إِنْسَانٌ"! .. إِنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا مِنَ (الأَشْيَاءِ) لاَ يُفْهَمُ وُجُودُهَا إِلاَّ عَلَى

ضَوْءِ (مَاهِيَّتِهَا) الَّتِي خُلِقَتْ عَلَيْهَا ...

إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ وَيَعِي .. وَأَنْ يُفَكِّرَ وَيَتَعَلَّمَ .. إِنَّهُ يَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرَ وَيَتَغَيَّرَ ...

فَالإِنْسَانُ لَيْسَ أَسِيرَ (الوِرَاثَةِ) وَ(البِيئَةِ) أَوْ حَتَّى (مَاضِيهِ) ..

إِنَّهُ لاَ يَكُفُّ مُطْلَقًا عَنْ أَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَهُ.

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ غَيَّرَ مَجْرَى حَيَاتِهِ! .. كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ سَمَا وَارْتَفَعَ وَانْتَصَرَ عَلَى كُلِّ المُعَوِّقَاتِ الَّتِي وَاجَهَتْهُ! وَعَكْسُ ذَلِكَ؛ كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ سَقَطَ وَانْحَدَرَ!!!

❁❁❁❁❁

أَنْتَ تَنْبُضُ بِالحَيَاةِ؛ طَالَمَا.. تَخْطُو قَدَمَاكَ نَحْوَ (المُسْتَقْبَل).

❁❁❁❁❁

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ". رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمْ. وَالحَدِيثُ فِيهِ: عَلِيُّ بْنُ مَسْعَدَةَ البَاهِلِيُّ ضَعِيفٌ عِنْدَ التَّفَرُّدِ؛ وَقَدْ تَفَرَّدَ.

❁❁❁❁❁

<u>هَلْ تُؤْمِنُ بِهَذَا المَبْدَأِ</u>؟

"أَنْتَ حُرٌّ مَا لَمْ تَضُرّ" ...

"حُرِّيَّتُكَ تَنْتَهِي حَيْثُ تَبْدَأُ حُرِّيَّةُ الآخَرِينَ".

إِنْ سَلَّمْنَا جَدَلاً بِذَلِكَ -وَلاَ نُسَلِّمُ-؛ فَإِنَّنَا يُمْكِنُ أَنْ نَأْمَنَ -مِنْ خِلاَلِ هَذَا المَبْدَأِ- عَدَمَ وُقُوعِ ضَرَرِكَ عَلَى الآخَرِينَ... وَرُبَّمَا عَدَمَ وُقُوعِ ضَرَرِ الآخَرُونَ عَلَيكَ..

وَلَكِنْ .. مَاذَا عَنْ ضَرَرِكَ لِنَفْسِكَ؟

فَهَلْ يَعْنِي هَذَا المَبْدَأُ:

"أَنْتَ حُرٌّ فِي أَنْ تَضُرَّ بِنَفْسِكَ كَمَا تَشَاءُ"؟!!!

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ -مَثَلاً- في (جَسَدِكَ)؛ فَتُشَوِّهُهُ أَوْ تُمَزِّقُهُ؟ .. أَوْ أَنْ تُتَاجِرَ فِيهِ وَتَبِيعَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تَشْرَبَ الخَمْرَ .. أَوْ أَنْ تَزْنِيَ؟ .. أَوْ تُعْطِي المَرْأَةُ جَسَدَهَا مُتْعَةً لِكُلِّ طَالِبِ مُتْعَةٍ؟

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ في (مَالِكَ)؛ فَتُمَزِّقُهُ أَوْ تَحْرِقُهُ؟ أَوْ أَنْ تَحْرِمَ وَرَثَتَكَ مِنْهُ وَتُوقِفَهُ لِلْقِطَطِ وَالكِلاَبِ -كَمَا يَحْدُثُ في الغَرْبِ؟

هَلْ أَنْتَ حُرٌّ في (حَيَاتِكَ)؛ فَتُنْهِيهَا وَأَنْ تَنْتَحِرَ؟ ....

❁❁❁❁❁

إِنَّ الإِسْلاَمَ حَرَّمَ كُلَّ أَنْوَاعِ (الظُّلْمِ) [كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ، عَظِيمِهِ وَصَغِيرِهِ، جُلِّهِ وَدِقِّهِ]؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: "يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ (الظُّلْمَ) عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلاَ تَظَّالَمُوا. ...". حَتَّى ظُلْمِ الإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ حَرَّمَهُ الإِسْلاَمَ .. فَكُلُّ مَا ذُكِرَ حَرَّمَهُ الإِسْلاَمَ؛ فَلَيْسَ لَكَ -مَثَلاً- أَنْ تَحْرِقَ مَالَكَ أَوْ تُمَزِّقَهُ .. أَوْ تَمْنَعَ وَرَثَتَكَ مِنْ مِيرَاثِهِمْ ... لَيْسَ لَكَ أَنْ تُشَوِّهَ

جَسَدَكَ .. أَوْ أَنْ تُتَاجِرَ فِيهِ وَتَبِيعَهُ؟ .. أَوْ أَنْ تَشْرَبَ الخَمْرَ .. أَوْ أَنْ تَزْنِي!!!

وَأَسْوَأُ ذَلِكَ (الانْتِحَارِ)؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا".

❁❁❁❁❁

إِنَّ المَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا سَبَقَ العَدَمُ وُجُودَهَا ... فَهَذَا هُوَ "الإِنْسَانُ"؛ كَانَ "عَدَمًا" .. كَانَ "لاَ شَيْءَ" ...

وَلاَ يُؤْمِنُ أَنَّ بَعْدَ هَذِهِ الحَيَاةِ حَيَاةً إِلاَّ (المُؤْمِنُ)؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإِنْسَان/١).

وَلِذَا؛ فَشَتَّان بَيْنَ حَيَاةِ (المُؤْمِنِ)، وَبَيْنَ حَيَاةِ غَيْرِهِ مِنَ البَشَرِ.

إِنَّ غَيْرَ المُؤْمِنِ لاَ يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَصِلَ إِلَى (اليَقِينِ) إِلاَّ فِي لَحْظَةِ (المَوْتِ) وَمَا بَعْدَهَا؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق/١٩).

❁❁❁❁❁

إِنَّ (الإِنْسَانَ) -مِنَّا- يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ وَفَنٍّ (الإِدَارَةِ) لِيُدِيرَ حَيَاتَهُ، فَلاَبُدَّ مِنَ عَمَلِيَّةِ (التَّخْطِيطِ Planning)، وَتَحْدِيدِ (مَاذَا يُرِيدُ؟) وَ(كَيْفَ يَصِلُ إِلَى مَا يُرِيدُ؟)، وَاتِّخَاذِ القَرَارَاتِ الصَّحِيحَةِ وَالمُسْتَمِرَّةِ؛ لِلْوُصُولِ إِلَى (الأَهْدَافِ) الَّتِي يَرْجُوهَا لِنَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ. وَذَلِكَ بِاسْتِخْدَامِ وَتَوْظِيفِ

وَتَطْوِيرِ كَافَّةِ المَصَادِرِ المَادِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ المُتَاحَةِ [وَلاَبُدَّ مِنْ: مُطَابَقَة (الهَدَفِ) مَعَ (الإِمْكَانَاتِ المُتَاحَةِ)].

❁❁❁❁❁

فَـ(الإِدَارَةُ) هِيَ: فَنُّ الحُصُولِ عَلَى أَقْصَى نَتَائِجٍ بِأَقَلِّ جَهْدٍ حَتَّى يُمْكِنَ تَحْقِيقُ أَقْصَى سَعَادَةٍ وَأَفْضَلِ خِدْمَةٍ لِلإِنْسَانِ وَلِلْمُجْتَمِعِ.

وَلِذَا؛ لاَبُدَّ مِنَ القِيَامِ بِخَمْسَةِ وَظَائِفٍ؛ هِيَ:

الوَظِيفَةُ الأُولَى: تَحْدِيدُ الأَهْدَافِ.

الوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ: تَرْتِيبُ وَتَنْظِيمُ العَمَلِ.

الوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ: التَّحْفِيزُ وَالاتِّصَالُ.

الوَظِيفَةُ الرَّابِعَةُ: التَّقْيِيمُ وَالقِيَاسُ.

الوَظِيفَةُ الخَامِسَةُ: تَطْوِيرُ الأَدَاءِ.

وَ(الإِدَارَةُ) تَخْتَصُّ بِـ: (التَّخْطِيطِ Planning)، وَ(التَّنَبُّؤِ Forecasting) [لِتَقْدِير الظُّرُوفِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ وِفْقًا لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَسَالِيبِ العِلْمِيَّة وَالعَمَلِيَّةِ لِلْوُصُولِ إِلَى الهَدَفِ أَوْ إِعَادَةِ صِيَاغَتِهِ، فَالاخْتِيَارُ يَقُومُ عَلَى الاحْتِمَالَاتِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ لِهَذَا الاحْتِمَالِ أَوْ ذَاك وَالنَّتَائِجِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ وَالمَسَالِكِ البَدِيلَةِ وَتَقْوِيمِهَا وَالمُفَاضَلَةِ بَيْنَهَا بِشَكْلٍ مَوْضُوعِيٍّ (فَالاخْتِيَارُ عَمَلِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ وَمُتَشَابِكَةٌ)]، وَ(التَّنْظِيمِ Organizjng)، وَ(التَّوْجِيهِ (وَتَنْمِيَة الكِفَايَاتِ) Dircting) [لِتَوْجِيهِ الجُهُودِ لِتَنْفِيذِ الأَهْدَافِ]، وَ(المُرَاقَبَة Controling) [وَهِيَ عَمَلِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ

لِكَشْفِ الأَخْطَاءِ وَالانْحِرَافَاتِ عَنِ الجَادَّةِ لاتِّخَاذِ الخُطُوَاتِ العَمَلِيَّةِ المُنَاسِبَةِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ].

❁❁❁❁❁

إِنَّ (حَيَاتَكَ) كُلَّهَا -فِي الحَقِيقَةِ- عِبَارَةٌ عَنِ العَدِيدِ مِنَ (العَمَلِيَّاتِ)، أَوْ -إِنْ شِئْنَا الدِّقَّةِ- (عَمَلِيَّة) فِيهَا العَدِيدُ مِنَ (العَمَلِيَّاتِ).

فَكَلِمَةُ (عَمَلِيَّة) يُقْصَدُ بِهَا: "طَرِيقَة مُحَدَّدَة لإِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ، وَتَشْمَلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ عَدَدًا مِنَ الخُطُوَاتِ"؛ كَمَا فِي قَامُوس "وِبسْتَر"، فَهِيَ تَشْمَلُ المَفَاهِيمَ الآتِيَةَ:

١. أُسْلُوب مُحَدَّد يَجِبُ اتِّبَاعُهُ.

٢. هَذَا الأُسْلُوب يُؤَدِّي إِلَى إِنْجَازِ أَعْمَالٍ مُعَيَّنَةٍ.

٣. هَذِهِ الأَعْمَالُ تَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ عَدَدٍ مِنَ الخُطُوَاتِ أَوِ العَمَلِيَّاتِ.

تَنْبِيه: لاَ تُوجِدُ قَوَاعِدُ عِلْمِيَّةٌ يُمْكِنُ تَطْبِيقُهَا تِلْقَائِيًّا عَلَى المُشْكِلاَتِ.

❁❁❁❁❁

إِنَّ الأُمَمَ وَالمُجْتَمَعَاتِ وَالأَشْخَاصَ -وَمُنْذُ القِدَمِ- تُحَدِّدُ لِنَفْسِهَا (الهَدَفَ) [الاسْتِرَاتِيجِيَّة Strategy] [بِخِلاَفِ (الأَهْدَافِ التَّكْتِيكِيَّةِ)]، وَهِيَ خُطَطٌ أَوْ طُرُقٌ تُوضَعُ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مُعَيَّنٍ عَلَى المَدَى البَعِيدِ اعْتِمَادًا عَلَى (التَّخْطِيطَاتِ) وَالإِجْرَاءَاتِ فِي اسْتِخْدَامِ المَصَادِرِ المُتَوَفِّرَةِ فِي المَدَى القَصِيرِ.

وَيَعُودُ أَصْلُ كَلِمَةِ (الاسْتِرَاتِيجِيَّة Strategy) إِلَى التَّعْبِيرِ العَسْكَرِيِّ، وَلَكِنَّهَا الآنَ تُسْتَخْدَمُ بِكَثْرَةٍ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمَجَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي شَتَّى مَنَاحِ الحَيَاةِ العَامَّةِ.

❁❁❁❁❁

وَ(الأَهْدَافُ) تُعْتَبَرُ بِمَثَابَةِ (الغَايَاتِ) الَّتِي يَجِبُ تَوْجِيهُ كَافَةِ الجُهُودِ نَحْوَ تَحْقِيقِهَا وَالعَمَلِ عَلَى تَنْفِيذِهَا، وَتَتَوَقَّفُ فَاعِلِيَّةُ الإِنْسَانِ نَحْوَ إِنْجَازِهَا عَلَى مَدَى (الإِدْرَاكِ) لَدَيْهِ لِذَلِكَ وَتَفَهُّمِهِ لَهَا وَإِيمَانِهِ بِهَا.

إِنَّ قُدْرَةَ الإِنْسَانِ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ يَخُصُّ نَفْسَهُ؛ لَابُدَّ فِيهَا: المُرُونَةُ وَالقُدْرَةُ عَلَى التَجْرِيبِ وَالابْتِكَارِ؛ لِلْبَحْثِ عَنْ أَفْضَلِ النُّظُمِ الكَفِيلَةِ بِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ.

إِنَّ (تَحْدِيدَ الأَهْدَافِ) يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ عَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ)؛ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهَمِّ الوَظَائِفِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا (الإِنْسَانُ)، وَلَابُدَّ أَنْ يُحَسِّنَ (الإِنْسَانُ) مَبَادِئَ (التَّنْظِيمِ) الَّتِي تَضْمَنُ سَلَامَةَ اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ بِالقَدْرِ الَّذِي تَحْتَوِي فِيهِ عَلَى مَبَادِئِ كَفَاءَةِ التَّنْفِيذِ.

إِنَّ (اتِّخَاذَ القَرَارَاتِ) هُوَ نُقْطَةُ البَدْءِ بِالنِّسْبَةِ لِجَمِيعِ الإِجْرَاءَاتِ وَأَوْجُهِ النَّشَاطِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا (الإِنْسَانُ).

إِنَّهَا عَمَلِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ وَتَسْتَنِدُ عَلَى مُحَاوَلَةِ (الإِنْسَانِ) اخْتِيَارَ مَاذَا يَجِبُ عَمَلُهُ؟ وَكَيْفَ يَقُومُ بِهِ؟ وَمَا هُوَ الوَقْتُ المُنَاسِبُ لِإِنْجَازِهِ؟ وَمَا هُوَ المَكَانُ

المُنَاسِبُ؟

وَأَيْضًا تَقْوِيمُ العَمَلِ وَمُرَاجَعَتُهُ .. تَقْوِيمُ العَمَلِ الفِعْلِيِّ بِمَا هُوَ مُخَطَّطٌ لَهُ، بِالإِضَافَةِ إِلَى عَمَلِيَّاتِ التَّصْحِيحِ المُسْتَمِرَّةِ.

إِنَّ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ (الإِنْسَانُ) -في الحَقِيقَةِ- لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ أَوْ يَسْتَمِرَّ دُونَ (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ).

وَبَعْضُ (القَرَارَاتِ) يَحْتَاجُ -أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ- إِلَى: الدِّقَّةِ وَالذَّكَاءِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ وَالتَّرَوِّي. وَقَدْ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى: الدِّرَاسَةِ وَالمَشُورَةِ وَمَعْرِفَةِ الآرَاءِ وَالأَفْكَارِ المُخْتَلِفَةِ.

وَعَمَلِيَّةُ (اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ) هِيَ الاخْتِيَارُ الوَاعِي القَائِمُ عَلَى بَعْضِ المَعَايِيرِ وَالأُسُسِ لِبَدِيلٍ وَاحِدٍ مِنْ بَيْنِ بَدِيلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورٍ يَرَى أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ القِيَامُ بِهَا. [وَهَذَا هُوَ تَعْرِيفُ هَذِهِ (العَمَلِيَّةِ)]

وَهَذَا يَعْنِي أَنْ يَتَّسِمَ (القَرَارُ) بِالوَعْيِ وَالدِّرَاسَةِ وَالاقْتِنَاعِ، لاَ بِالهَوَى أَوِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ضَوْءِ انْفِعَالٍ طَارِئٍ أَوْ بِطَرِيقَةٍ عَفَوِيَّةٍ.

مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ (القَرَارَ) يَكُونُ بِاخْتِيَارٍ بَيْنَ (بَدَائِل)، فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ (بَدَائِل) فَلاَ اخْتِيَارَ في الحَقِيقَةِ.

مَعَ العِلْمِ بِأَنَّ عَدَمَ اتِّخَاذِ قَرَارٍ هُوَ في ذَاتِهِ (قَرَارٌ)، وَلِذَلِكَ يُمْدَحُ (الإِنْسَانُ) أَوْ يُذَمُّ أَحْيَانًا لِعَدَمِ اتِّخَاذِهِ (قَرَارًا)،

وَ(التَّخْطِيطُ Planning) -في الحَقِيقَةِ- هُوَ طَرِيقُ النَّجَاحِ لأَيِّ عَمَلٍ تُمَارِسُهُ .. هُوَ المُسْتَقْبَلُ .. هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ مَسَارَكَ.

وَ(التَّخْطِيطُ) يَعْنِي: "تَحْدِيد الأَهْدَافِ الوَاجِب إِنْجَازِهَا بَعْدَ الاخْتِيَارِ مِنْ بَيْنِ البَدَائِلِ، وَتَحْدِيد الطَرِيقَةِ أَوِ الطُّرُقِ الوَاجِبِ اتِّبَاعِهَا لإِنْجَازِ هَذِهِ الأَهْدَافِ".

فَ(التَّخْطِيطُ) هُوَ: "المُوَاءَمَةُ بَيْنَ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ، وَمَا هُوَ مُتَاحٌ عَمَلِيًّا، فَهُوَ يَعْنِي تَعْبئَةَ وَتَنْسِيقَ وَتَوْجِيهَ المَوَارِدِ وَالطَّاقَاتِ وَالقُوَى؛ لِتَحْقِيقِ (أَهْدَافٍ) مُعَيَّنَةٍ، وَيَتِمُّ تَحْقِيقُ هَذِهِ (الأَهْدَافِ) في فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ تُحَدِّدُهَا (الخُطَّةُ)، وَتَعْمَلُ كُلُّ خُطَّةٍ عَلَى تَحْقِيقِ (الأَهْدَافِ) بِأَقَلِّ [جَهْدٍ] وَتَكْلِفَةٍ مُمْكِنَةٍ عَمَلِيًّا".

فَهُوَ نُقْطَةُ البِدَايَةِ لِلْقِيَامِ بِأَيِّ نَشَاطٍ؛ إِذْ أَنَّهُ الَّذِي يُحَدِّدُ الإِطَارَ الَّذِي يُبَيِّنُ نَوْعَ العَمَلِ الَّذِي يَنْبَغِي القِيَامُ بِهِ، وَالأُسْلُوبَ الَّذِي يَجْدُرُ اتِّبَاعُهُ لإِنْجَازِ هَذَا العَمَلِ وَالوَقْتَ الَّذِي يَسْتَغْرِقُهُ.

وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ (التَّخْطِيطُ) مُحْكَمًا وَمُتَكَامِلاً خِلاَلَ الأَجَلَيْنِ الطَّوِيلِ وَالقَصِيرِ حَتَّى يَكُونَ عَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يَزِيدَ قُدْرَتَهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ التَّغَيُّرِ وَمَخَاطِرِهُ، مُقَدِّرًا نَوَاحِي النَّشَاطِ المَطْلُوبِ وَأَيْضًا العَقَبَاتِ.

وَ(التَّخْطِيطُ) هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ الإِطَارَ لِلْعَمَلِ الَّذِي يَنْبَغِي القِيَامُ بِهِ، وَالأُسْلُوبَ الَّذِي اتِّبَاعُهُ، وَالوَقْتَ المُتَوَقَّعَ لِلْوُصُولِ إِلَى هَدَفٍ مُعَيَّنٍ؛ عَنْ

طَرِيقِ خُطُوَاتٍ مُحَدَّدَةٍ يَتِمُّ عَلَيْهَا الإِنْجَازُ المُسْتَقْبَلِيُّ.

فَلاَبُدَّ في (التَّخْطِيطِ) أَنْ تَكُونَ لَهُ نَظْرَةٌ إِلَى: المَاضِي، وَالحَاضِرِ، وَالمُسْتَقْبَلِ.

فَعَلَى (الإِنْسَانِ) مُحَاوَلَةُ التَّوَقُّعِ بِـ(الأَحْدَاثِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ) الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالأَمْرِ، مَعَ تَقْيِيمِ الأَدَاءِ وَالنَّتَائِجِ.

وَتَشْمَلُ وَظِيفَةُ (التَّخْطِيطُ) عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَنْشِطَةِ الفَرْعِيَّةِ في مُقَدِّمَتِهَا [أَوْ: أَهَمُّ (خُطُواتِ التَّخْطِيطِ Planning steps)؛ هِيَ]:

أ. تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ Objectives. أَوْ: وَضْع الأَهْدَافِ Sstablishing Goals، وَهُوَ الإِجَابَةُ عَلَى سُؤَالِ: مَاذَا تُرِيدُ؟ وَهُوَ مِنَ الأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي تُحَدِّدُ (هُوِيَّةَ الإِنْسَانِ)، كَمَا تُحَدِّدُ مَا يَجِبُ أَنْ يَسْعَى لِتَنْفِيذِهِ. وَلاَبُدَّ أَنْ تُصَبَّ كَافَّةَ الجُهُودِ في ذَلِكَ؛ لأَنَّهَا (طُرُقُهُ Methods) لِتَنْفِيذِ هَذِهِ الأَهْدَافِ.

وَ(تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقَةٍ دَقِيقَةٍ وَوَاضِحَةٍ؛ كَالآتِي:

مَا الَّذِي تُرِيدُهُ؟ (What)، وَمَا الكَيْفِيَّةُ الَّتِي يُمْكِنُ بِهَا تَنْفِيذُ ذَلِكَ؟ (How)، وَمَا الوَقْتُ اللاَّزِمُ لِذَلِكَ؟ (When)، وَأَيْنَ يُمْكِنُ تَنْفِيذُ ذَلِكَ؟ (Where)، وَمَنِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُسَاعِدُكَ في ذَلِكَ؟ (Who).

ب. إِعْدَاد الاسْتِرَاتِيجِيَّاتِ Strategies.

ج. تَحْدِيد الإِجْرَاءَاتِ.

د. إِعْدَاد المُوازَنَاتِ التَّخْطِيطِيَّةِ.

❁❁❁❁❁

وَيَنْقَسِمُ (التَّخْطِيطُ) إِلَي (تَخْطِيطٍ اسْتِرَاتِيجِيٍّ) يَقُومُ بـ(تَحْدِيدِ أَهْدَافٍ) تُسَمَّى (الغَايَاتُ) أَوْ (أَهْدَافٌ عُلْيَا) بَعِيدَةُ المَدَى أَوْ (أَعْلَى مُسْتَوَيَاتِ الأَهْدَافِ)، وَهُوَ (تَخْطِيطٌ عَالِي المَعَايِيرِ وَالمُسْتَوَى)؛ يَقُومُ بتَحْدِيدِ (أَهْدَافٍ تَخْطِيطِيَّةٍ) (أَهْدَافٍ مَرْحَلِيَّةٍ) الَّتِي يُؤَدِّي تَحْقِيقُهَا إِلَى أَحْدَاثٍ تَغْيِيرَاتٍ حَادَّةٍ هَامَّةٍ؛ وَهِيَ: أَهْدَافٌ مُبَاشِرَةٌ أَوْ أَهْدَافٌ صُغْرَى أَوْ أَهْدَافٌ قَرِيبَةٌ أَوْ أَهْدَافٌ خَاصَّةٌ. وَمُحَاوَلَة الوُصُولِ إِلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ الاسْتِخْدَامِ الأَمْثَلِ لِكَافَّةِ الإِمْكَانَاتِ وَالوَسَائِلِ المُتَاحَةِ وَالمُتَوَفِّرَةِ.

❁❁❁❁❁

وَتَخْتَلِفُ (الأَهْدَافُ) مِنْ مَوْقِفٍ لآخَرَ، وَمِن (اسْتِرَاتِيجِيَّة) لأُخْرَى؛ وَذَلِكَ تَبْعًا لِتَّبَايُنِ طَبِيعَةِ وَأَهَمِّيَّةِ ذَلِكَ الهَدَفِ وَتَبَعًا لِلإِمْكَانَاتِ وَالقُدُرَاتِ المُتَاحَةِ. وَقَدْ يَكُونُ (الهَدَفُ) صَغِيرًا مَحْدُودًا أَوْ كَبِيرًا؛ غَيْرَ أَنَّ جَمِيعَ (الأَهْدَافِ) تَشْتَرِكُ فِي كَوْنِهَا جَمِيعًا (الهَدَفَ النِّهَائِيَّ) الَّذِي عُيِّنَ وَحُدِّدَ سَلَفًا مِنْ قَبْل.

وَقَدْ يَكُونُ اخْتِيَارُ هَذِهِ (الاسْتِرَاتِيجِيَّة) أَوْ تِلْكَ صَائِبًا فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ مُعَيَّنَيْنِ وَغَيْرَ صَائِبٍ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ آخَرَ، فَـ(الاسْتِرَاتِيجِيَّة) تَتَأَثَّرُ بعَوَامِلِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ وَبعَقْلِيَّةِ المُخَطِّطِينَ وَظُرُوفِ العَصْرِ وَتِقْنِيَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ العَوَامِلِ.

وَلاَبُدَّ مِنْ إِعْدَادِ (المُحْتَوَى) المُلاَئِمَ لِتَحْقِيقِهِ، وَتُضَمِّنُهُ خِبرَاتٍ وَحَقَائِقَ وَقِيَمًا؛ تَعْمَلُ مُجْتَمِعَةً عَلَى بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ المَطْلُوبَةِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهَا مِنْ العَمَلِ عَلَى إِشْبَاعِ حَاجَاتِهَا، وَالوُصُولِ إِلَى الغَايَةِ المَرْجُوَّةِ [وَبِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ: غَايَتُهُ الوُصُولُ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ؛ بِالعَمَلِ بِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ].

وَكَانَ لاَبُدَّ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَوْلِيدِ الأَفْكَارِ الجَدِيدَةِ وَالمُتَنَامِيَةِ [بَعْدَ إِخْضَاعِهَا لِلتَّحْلِيلِ وَالمُحَاكَمَةِ] الَّتِي تُؤَهِّلُ لِلْغَوْصِ فِي أَعْمَاقِ القَضَايَا المَطْرُوحَةِ، وَإِيجَادِ حُلُولٍ مُلاَئِمَةٍ لَهَا؛ حَتَّى يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَى الهَدَفِ.

❁❁❁❁❁

وَلاَبُدَّ أَنْ تَضَعَ فِي اعْتِبَارَاتِكَ:

١. حَاوِلْ -قَدْرَ المُسْتَطَاعِ- الاسْتِفَادَةَ مِنْ عُقُولِ الآخَرِينَ؛ فَقَدِ اهْتَمَّ الإِسْلاَمُ بِالشُّورَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عِمْرَان/ ١٥٩)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشُّورَى/ ٣٨).

٢ القَرَارَاتُ السَّرِيعَةُ رُبَّمَا تَفْتَقِدُ إِلَى الدِّقَّةِ، وَتَفْتَقِرُ إِلَى المَعْلُومَاتِ

الكَافِيَةِ، فَحَاوِلْ أَنْ تَتَرَوَّى فِي اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ مَا اسْتَطَعْتَ.

٣. لاَ يَجِبُ أَنْ تَلْتَزِمَ الْتِزَامًا جَامِدًا وَثَابِتًا بِمَا سَبَقَ وَاتَّخَذْتَهُ مِنْ قَرَارَاتٍ دُونَ إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ أَوْ تَعْدِيلٍ، فَلاَبُدَّ مِنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ وَالتَّقْيِيمِ تَبَعًا لِلْمُسْتَجَدَّاتِ وَالظُّرُوفِ، وَالمَثَلُ يَقُولُ: "لاَ ضَرُورَةَ لاسْتِخْدَامِ الشَّمْسِيَّةِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ"، فَالقَرَارَاتُ لَيْسَتْ نِهَائِيَّةً، وَلاَبُدَّ مِنَ التَّكَيُّفِ مَعَ المُتَغَيِّرَاتِ وَالمُسْتَجَدَّاتِ. ... وَتَرَاجُعُكَ عَنِ القَرَارِ لاَ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِكَ؛ بَلْ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِكَ!

٤. بَعْضُهُمْ يَظُنُّ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَرِدَ بِاتِّخَاذِ القَرَارِ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَكَثِيرٌ مِنَ القَرَارَاتِ يَحْتَاجُ إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنَ عُقُولِ وَجُهُودِ الآخَرِينَ [فَمَثَلاً: عَقْلُ اثْنَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَقْلٍ وَاحِدٍ؛ وَهَكَذَا].

٥. المُشْكِلاَتُ اليَوْمِيَّةُ مَهْمَا كَثُرَتْ لاَ يَجِبُ أَنْ تُلْهِيكَ عَنِ الوُصُولِ إِلَى هَدَفِكَ.

وَالأَمْرُ يَحْتَاجُ -أَحْيَانًا- إِلَى اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ وَلاَ رُوتِينِيَّةٍ، بَلْ رُبَّمَا يَحْتَاجُ الأَمْرُ لِنَوْعٍ مِنَ الابْتِكَارِ وَالتَّجْدِيدِ وَالمُبَادَأَةِ؛ حَتَّى لَوْ أَدَّى لِبَعْضِ المُشْكِلاَتِ المُؤَقَّتَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِيجَادِ حُلُولٍ لَهَا وَاتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ بِشَأْنِهَا.

قَدْ تَكُونُ الابْتِكَارَاتُ وَالتَّجْدِيدُ فِي صُورَةِ تَعْدِيلٍ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ تَغْيِيرٍ طَفِيفٍ أَوْ حَتَّى كَبِيرٍ، وَلَكِنْ قَدْ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إِلَى تَفْكِيرٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيٍّ لإِيجَادِ

حُلُولٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ.

وَبِالنِّسْبَةِ لأَيِّ شَخْصٍ في حَيَاتِهِ؛ لاَبُدَّ مِنْ: (التَّخْطِيطُ) – (التَّنْظِيمُ) – (التَّوْجِيهُ) – تَنْمِيَةُ الكِفَايَاتِ – الرِّقَابَةُ.

⬅ تَحْدِيدُ الأَهْدَافِ وَالغَايَاتِ ⬅ الأَهْدَافُ التَّنْظِيمِيَّةُ ⬅ تَحْدِيد المَصَادِرِ وَمَنْ يُمْكِنُ الاسْتِعَانَةُ بِهِمْ [التَوْظِيف] ⬅ المُدْخَلاَتُ (دَوَافِع – بَيَانَات – مُشْكِلَة – إِمْكَانِيَّات – مَوَارِد – عَوَامِل بِيئِيَّة [وَمَعْرِفَة الأَوْضَاعِ الحَالِيَّةِ]– ...) ⬅ ...

وَ(القَرَارُ) هُوَ الاخْتِيَارُ المُدْرِكُ الوَاعِي بَيْنَ عَدَدٍ مِنَ البَدَائِلِ المُحْتَمَلَةِ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ أَهْدَافٍ مُحَدَّدَةٍ مَصْحُوبًا بِتَحْدِيدِ إِجْرَاءَاتِ التَّنْفِيذِ.

أَوْ هُوَ: عَمَلِيَّةُ إِنْتَاجِ مَعْلُومَاتٍ تَلْبِيَةً لإِشَارَاتٍ أَوْ بَيَانَاتٍ أَوْ مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ آخَرَ نَتِيجَةً لِرَدِّ فِعْلٍ مُعَيَّنٍ.

فَ(القَرَارُ) يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَجْزَاءٍ رَئِيسِيَّةٍ؛ هِيَ:

أ. المُدْخَلاَت.

ب. الأَوْضَاع الحَالِيَّة.

ج. الفِعْل أَوِ اخْتِيَار البَدِيل الأَمْثَل.

فَالعَنَاصِرُ الأَسَاسِيَّةُ ثَلاَثَةٌ؛ هِيَ:

أَهْدَافٌ – مُدْخَلاَتُ – تَحْقِيقُ الهَدَفِ.

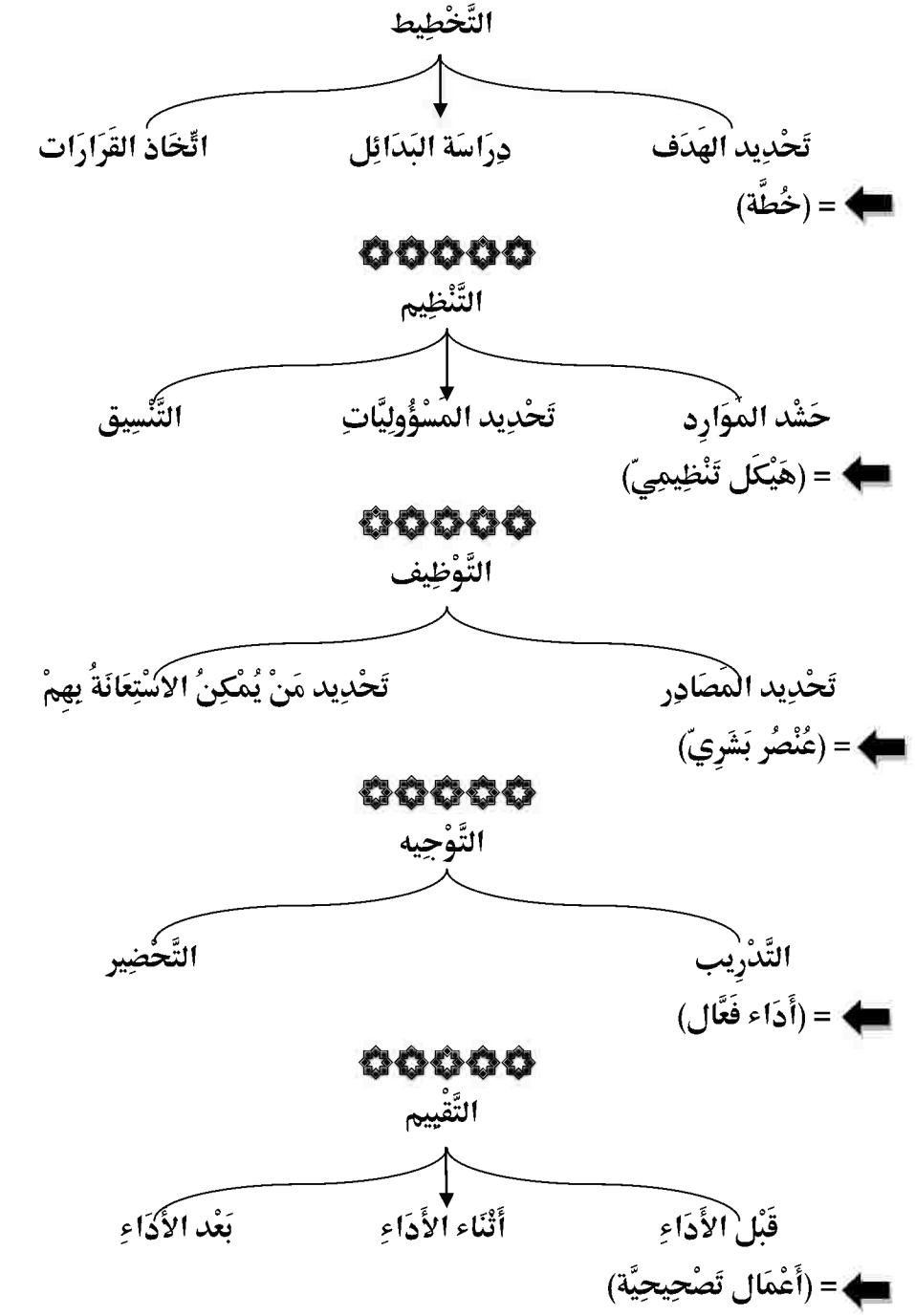
التَّخْطِيط
تَحْدِيد الهَدَف
دِرَاسَة البَدَائِل
اتِّخَاذ القَرَارَات
= (خُطَّة)
التَّنْظِيم
حَشْد المَوَارِد
تَحْدِيد المَسْؤُولِيَّاتِ
التَّنْسِيق
= (هَيْكَل تَنْظِيمِيّ)
التَّوْظِيف
تَحْدِيد المَصَادِر
تَحْدِيد مَنْ يُمْكِنُ الاسْتِعَانَةُ بِهِمْ
= (عُنْصُر بَشَرِيّ)
التَّوْجِيه
التَّدْرِيب
التَّحْضِير
= (أَدَاء فَعَّال)
التَّقْيِيم
قَبْل الأَدَاءِ
أَثْنَاء الأَدَاءِ
بَعْد الأَدَاءِ
= (أَعْمَال تَصْحِيحِيَّة)

فَـ: (خُطَّة) + (هَيْكَل تَنْظِيمِيّ) + (عُنْصُر بَشَرِيّ) + (أَدَاء فَعَّال) + (أَعْمَال تَصْحِيحِيَّة) = تَحْقِيق الهَدَف

❁❁❁❁❁

وَلَكِنْ .. مَا هِيَ صِفَاتُ "الهَدَف"؟

أَكْتَفِي بِبَعْضِ الصِّفَاتِ؛ وَهِيَ:

❁ أَوَّلاً: أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا لاَ غَبَشَ فِيهِ.

❁ ثَانِيًا: أَنْ يَكُونَ مُحَدَّدًا وَدَقِيقًا فِي البِدَايَةِ.

وَذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ سُلُوكِ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ فِي تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَفْشَلُونَ فِي جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ بِسَبَبِ عَدَمِ التَّحْدِيدِ الدَّقِيقِ لأَهْدَافِهِمْ .. إِنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ -عَلَى وَجْهِ الدِّقَّةِ- مَاذَا يُرِيدُونَ؟ مَعَ أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا!!!

فَهُنَاكَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ هَدَفِهِ بِوُضُوحٍ، وَيَتَحَرَّكُ كَثِيرًا دُونَ تَحْقِيقِ أَيِّ خُطْوَةٍ لِلأَمَامِ.

فَعَمَلِيَّةُ (تَحْدِيدِ الأَهْدَافِ) لَيْسَتْ عَمَلِيَّةً سَهْلَةً وَهَيِّنَةً؛ بَلْ صَعْبَة وَشَاقَّة وَخَطِيرَة .. لذا يجب علينا أن نتعرف على آلية وتقنية تحديد الأهداف .

وَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ ضَبَابِيَّةِ أَهْدَافِنَا وَعَدَمِ وُضُوحِهَا: عَدَمُ مَعْرِفَتِنَا كَيْفَ نُحَدِّدُ أَهْدَافَنَا؟ وَعَدَمُ بَذْلِنَا جَهْدًا كَافِيًا فِي رَسْمِهَا وَتَحْدِيدِهَا. مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى انْعِدَامِ إِمْكَانِيَّةِ قِيَاسِهَا، بَلْ وَأَيْضًا إِلَى إِدْرَاكِهَا بِطَرِيقَةٍ مُشَوَّشَةٍ، وَلاَبُدَّ

مِنْ تَوْجِيهِ طَاقَتِكَ الجِسْمِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ لِتَحْقِيقِ هَذَا الهَدَفِ بَلْ وَالوُصُولِ إِلَى دَرَجَةِ التَّفَوُّقِ وَالتَّمَيُّزِ.

وَلِذَا يَحْتَاجُ الوَاحِدُ مِنَّا أَنْ يُحَدِّدَ هَدَفًا وَاحِدًا وَلَيْسَ مَجْمُوعَةَ أَهْدَافٍ يَحْتَارُ بَيْنَهَا؛ وَكُلَّمَا اتَّجَهَ لِتَحْقِيقِ أَحَدِهَا سُرْعَانَ مَا يُعَاوِدُهُ الحَنِينُ لِلأَهْدَافِ الأُخْرَى. ..

فَحَاوِلْ أَنْ تُنْجِزَ شَيْئًا وَلَوْ قَلِيْلاً .. وَلَوْ صَغِيرًا!

تَرَى مَنْ يُقْبِلُ عَلَى كِتَابٍ فَيَقْرَأُ مِنْهُ صَفَحَاتٍ وَيَتْرُكُهُ لآخَرَ فَآخَرَ دُونَ أَنْ يُتِمَّ كِتَابًا وَلاَ عِلْمًا ... وَهَكَذَا!!!

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الإِنْسَانُ لأَهْدَافٍ أُخْرَى.. رُبَّمَا لَمْ تَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ فِي البِدَايَةِ.

وَلِذَا؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ فَتْرَةٍ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ قَرَارَاتِهِ وَأَهْدَافِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُحَاوِلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى شَيْءٍ فَيَصِلُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، مَثَلاً (كُولُومْبُس) أَرَادَ الوُصُولَ إِلَى (الهِنْدِ) فِي آسْيَا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ؛ فَاكْتَشَفَ (أَمْرِيكَا). وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ أَجْرَى أَبْحَاثًا -مَثَلاً- لِلْوُصُولِ إِلَى دَوَاءٍ مُعَيَّنٍ؛ فَوَصَلَ إِلَى غَيْرِهِ.

فَفِي الحَقِيقَةِ؛ إِنَّ (الأَهْدَافَ) وَ(الاخْتِيَارَاتِ) لَيْسَتْ شَيْئًا ثَابِتًا مُحَدَّدًا، فَكَثِيرًا مَا يُغَيِّرُ الإِنْسَانُ أَهْدَافَهُ فِي الحَيَاةِ.

فَلاَبُدَّ مِنْ: "(المُرُونَة) في المُخَطَّطِ وَالتَّشْكِيلِ بحَيْثُ يَتلاَئَمَانِ مَعَ (الظُّرُوفِ)".

❁ ثَالِثًا: تَنَاسُقُ الأَهْدَافِ وَتَكَامُلُهَا وَعَدَمُ تَعَارُضِهَا.

❁ رَابِعًا: وَاقِعِيَّة الهَدَفِ وَأَنْ لاَ يَكُونَ مُسْتَحِيلاً؛ وَذَلِكَ بِإِمْكَانِيَّةِ تَحْقِيقِهِ في ظِلِّ ظُرُوفِكَ الرَّاهِنَةِ وَإِمْكَانَاتِكَ المُتَاحَةِ، وَمِنْ ثَمَّ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَبْعِدَ الأَهْدَافَ الَّتِي يَتَعَذَّرُ عَلَيْكَ تَحْقِيقُهَا.

نَعَمْ؛ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ "الهَدَفُ" (صَعْبًا) أَوْ (شَاقًّا)، وَلَكِنَّهُ لاَ يَكُونُ (مُسْتَحِيلاً). حَاوَلَ (عَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسَ) أَنْ يَطِيرَ بِجَنَاحَيْنِ وَلَمْ يَنْجَحْ، وَحَاوَلَ إِخْوَانُ (رَايَت) أَنْ يَطِيرَا بِطَائِرَةٍ. وَهَكَذَا ...

وَهَذِهِ الوَاقِعِيَّةُ يَجِبُ أَنْ تَتَحَقَّقَ عَلَى مُسْتَوَيَيْنِ؛ هُمَا:

أ- عَلَى مُسْتَوى كُلِّ هَدَفٍ عَلَى حِدَةٍ، أَيْ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُمْكِنَ التَّحَقُّقِ.

ب-عَلَى مُسْتَوَى الأَهْدَافِ مُجْتَمِعَةٍ، أَيْ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا مُمْكِنَةَ التَّحَقُّقِ في وَقْتٍ وَاحِدٍ.

❁ خَامِسًا: صِيَاغَةُ الأَهْدَافِ بِشَكْلٍ قَابِلٍ لِلْقِيَاسِ؛ مِنْ أَجْلِ تَحْدِيدِ نِسْبَةِ النَّجَاحِ في تَحْقِيقِهَا، وَذَلِكَ بِرَبْطِهَا بِأَمْرٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الأُمُورِ التَّالِيَةِ:

أ- الزَّمَن. ب- الكِمِّيَّة. جـ-التَّكْلُفَة.

۞ سَادِسًا: تَرْتِيبُ الأَهْدَافِ بِحَسَبِ أَهَمِّيَّتِهَا.

۞ سَابِعًا: أَنْ تَكُونَ الأَهْدَافُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ اسْتِرَاتِيجِيَّةً (رَئِيسَةً) أَوْ تِكْتِيكِيَّةً (فَرْعِيَّةً)، فَالنَّوْعُ الأَوَّلُ يَتَضَمَّنُ الثَّانِي، مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَى عَدَمِ الخَلْطِ بَيْنَهُمَا.

وَبَدْهِيٌّ أَنَّ الأَهْدَافَ الَّتِي نُحَدِّدُهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي دَائِرَةِ الحَلَالِ المَشْرُوعِ المُبَاحِ.

۞۞۞۞۞

- حَاوِلْ أَنْ تُنْجِزَ شَيْئًا وَتَنْتَهِي مِنْهُ بَعْدَ تَحْدِيدِ الهَدَفِ بِدِقَّةٍ وَعِنَايَةٍ؛ فَلاَ دَاعِيَ لِتَشْتِيتِ الذِّهْنِ وَالجَهْدِ ..

- حَاوِلْ أَنْ تَخْتَبِرَ قُدْرَاتِكَ وَأَنْ تَكْتَشِفَهَا وَمَهَارَاتِكَ الحَقِيقِيَّةَ .. وَحَاوِلْ تَنْمِيَتَهَا .. وَحَاوِلْ أَنْ تَضْطَلِعَ بِمَهَامٍ جَدِيدَةٍ فِي حَيَاتِكَ؛ مَعَ تَرْكِ مَا لاَ يَتَنَاسِبُ مَعَ قُدُرَاتِكَ وَمَهَارَاتِكَ [وَتَذَكَّرْ أَنْ يَكُونَ التَّرْكُ قَبْلُ لاَ بَعْدَ] فَرُبَّمَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى تَطْوِيرِ حَيَاتِكَ!!!

- إِنَّ اسْتِغْلاَلَ الفِكْرِ وَالوَقْتِ فِي التَّفْكِيرِ فِي تَطْوِيرِ القَوَاعِدِ وَالأَسَالِيبِ وَالإِجْرَاءَاتِ أَمْرٌ جَيِّدٌ وَمِثْمِرٌ، وَيُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَى أَفْضَلِ النَّتَائِجِ.

- إِنَّ المُغَامَرَةَ وَالمُخَاطَرَةَ مِنْ طَبِيعَةِ الحَيَاةِ وَلَوْلاَهَا مَا تَقَدَّمَتِ الحَيَاةُ .. وَلَكِنْ؛ إِنَّهَا المُخَاطَرَةُ المَحْسُوبَةُ غَيْرُ المُتَهَوِّرَةِ.

۞۞۞۞۞

هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنْ حَيَاتِكَ؟

إِنَّنَا هُنَا أَمَامَ اتِّجَاهَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ ...

تَبْدَأُ بِهَذَا الَّذِي يَقْبَلُ الأُمُورَ عَلَى عِلَّتِهَا وَيُحَاوِلُ أَنْ يَسِيرَ وَسَطَ الظُّرُوفِ المُحِيطَةِ بِهِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَشْعُرُ بِعَدَمِ الرِّضَا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَبَّلَ أَوْ يَتَأَقْلَمَ مَعَ الأَوْضَاعِ الرَّاهِنَةِ دُونَ إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ بِهَا؛ أَيًّا كَانَ هَذَا التَّغْيِير.

وَبَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِيضَيْنِ تَقَعُ اتِّجَاهَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَقْتَرِبُ بِنِسَبٍ مُخْتَلِفَةٍ لِهَذَا أَوْ لِذَاكَ.

وَعَلَى (الإِنْسَانِ) أَنْ يَنْتَفِعَ بِكُلِّ مَا حَوْلَهُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ بِهِ قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ، وَيَنْظُرَ إِلَى الجَوَانِبِ الإِيجَابِيَّةِ وَيُحَاوِلَ تَنْمِيَتَهَا .. أَمَّا الجَوَانِبُ السَّلْبِيَّةُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَاوِلَ إِزَالَتَهَا أَوْ تَعْدِيلَهَا إِلَى الأَفْضَلِ؛ بَلْ يُعِيد التَّفْكِيرَ فِيهَا فَلَعَلَّهَا لَيْسَتْ بِهَذَا السُّوءِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ! .. وَيَسْأَل نَفْسَهُ: كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا؟ بَلْ هَلْ يُمْكِنُ تَحْوِيلُهَا إِلَى جَوَانِب إِيجَابِيَّةٍ؟

فَالإِنْسَانُ -مَثَلاً- قَدْ يُعَاقُ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا فِي إِشَارَةِ مُرُورٍ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَذَا الأَمْرِ الوَاقِعِ طَالَمَا لاَ يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهُ؟ .. إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَاوِلَ الاسْتِرْخَاءَ .. وَالتَّفْكِيرَ فِي حَلِّ بَعْضِ المُشْكِلاَتِ .. أَوْ تَرْتِيبَ

أَفْكَارَهُ وَخُطَطَهُ .. أَوْ تَذَكُّرَ الجَوَانِبَ الإِيجَابِيَّةَ في حَيَاتِهِ؛ لِبَثِ الأَمَلِ أَوِ التَّفَاؤُلِ. ...

فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَلاَّ يَنْظُرَ لِلْجَوَانِبُ السَّلْبِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا كُلَّهَا شَرٌّ، فَالنَّظْرَةُ السَّلْبِيَّةُ تَعُوقُ التَّفْكِيرَ السَّلِيمَ الَّذِي يُسَهِّلُ الوُصُولَ لِلْحَلِّ المُنَاسِبِ بِإِذْنِ اللهِ؛ وَفي هَذَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ:

أَمَا تَرَى البَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ

❁❁❁❁❁

- وَتَذَكَّرْ -يَا عَبْدَ اللهِ! [وَكُلُّنَا عَبِيدٌ للهِ]- أَنَّكَ عَبْدٌ لِلَّهِ .. وَأَنَّكَ سَتُسْأَلُ وَحْدَكَ بَيْنَ يَدِي اللهِ (مَبْدَأُ المُسَاءَلَةِ الذَّاتِيَّةِ)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطُّور/ ٢١)، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المُدَّثِّر/ ٣٨). وَتَنَبَّهْ لِـ(مَبْدَأِ الجَزَاءِ) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزَّلْزَلَة/ ٧، ٨).

❁❁❁❁❁

وَأَوَّلُ خُطْوَةٍ في الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ:

- أَنْ تَكْتَشِفَ ذَاتَكَ [(رُؤْيَةُ الذَّاتِ) رُؤْيَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ قَوِيمَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ؛ تُشَخِّصُ أَمْرَاضَهَا وَتَضَعُ مُعَالَجَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَى نِقَاطِ قُوَّتِهَا وَمَكَامِنِ ضَعْفِهَا .. وَأَنْ تَمْلُكَ الْتِزَامًا جَوْهَرِيًّا بِـ: (القِيَمِ الدِّينِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ)، وَمَكَارِمِ

الأَخْلاَقِ وَالجَوَانِبِ النَّبِيلَةِ؛ الَّتِي تَبْنِي شَخْصِيَّاتِ المُبْدِعِينَ النَّاجِحِينَ فِي الحَيَاةِ وَالمُجْتَمَعِ] ... وَأَنْ تَثِقَ فِي نَفْسِكَ ..

- وَأَنْ تَمْلِكَ: العَزِيمَةَ، وَالإِصْرَارَ [أَيْ: (الإِرَادَة المُسْتَقِلَّة)؛ وَتُمَثِّلُ: قُوَّةَ العَزْمِ وَالتَّصْمِيمِ وَالحَسْمِ فِي التَّنْفِيذِ بِلاَ مُيُوعَةٍ أَوْ تَرَدُّدٍ أَوْ تَهَاوُنٍ ، وَهِيَ أَكْبَرُ قُدْرَةٍ يَمْتَلِكُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ لَدَى مُصَارَعَةِ الحَيَاةِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يُرِيدُ] ..

- وَالتَّفْكِيرَ الصَّحِيحَ، وَالخَيَالَ الوَاسِعَ [أَيْ: (الخَيَال المُبْدِع)؛ وَتُمَثِّلُهُ قُوَّةُ (العَقْلِ) المُتَمَثِّلَةُ بِدَوْرِهَا فِي التَّفْكِيرِ الإِيجَابِيِّ وَالتَّأْثِيرِ النَّفْسِيِّ عَلَى اكْتِشَافِ مَنَاطِقِ الفَرَاغِ وَمَلْئِهَا بِالفِكْرَةِ أَوِ الخُطَّةِ أَوِ الإِنْجَازِ المُنَاسِبِ] [وَهَذَا لاَ يَكُونُ إِلاَّ فِي أَجْوَاءٍ تَسَامُحِيَّةٍ حُرَّةٍ مُشَجِّعَةٍ لِذَلِكَ، وَالمَيْدَان مَفْتُوحًا لِلتَّنَافُسِ الحُرِّ، أَمَّا الأَجْوَاءُ المُغْلَقَةُ الخَانِقَةُ؛ فَإِنَّهَا لاَ تَصْنَعُ (إِبْدَاعًا) وَلاَ (حُرِّيَّةً)] ...

- وَالرَّغْبَةَ الصَّادِقَةَ .. وَالعَمَلَ الجَادَّ، وَأَنْ لاَ تَكْتَفِي بِالأَحْلاَمِ ...

- وَلاَبُدَّ مِنَ الدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَى اللهِ؛ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَفِي غَيْرِهَا بَلْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ؛ وَهَذَا مِنْ بَابِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ. فَلاَ نَعِيشُ كَالجَسَدِ بِلاَ رُوحٍ.

- التَّفَاؤُل وَعَدَم التَّشَاؤُمِ؛ مَعَ "الإِيمَان بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ"، "وَلَو أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ؛ حَتَّى تُؤْمِنَ

بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ."

- وَ... تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ!!!

وَأَخِيرًا؛ "كُنْ جَمِيلاً تَرَى الوُجُودَ جَمِيلاً".

وَ.. أَخْرِجْ أَجْمَلَ مَا فِيكَ!

إِنَّكَ تَمْلِكُ (السَّعَادَةَ) بدَاخِلِكَ!

إِنَّكَ تُدْرِكُ وَتَعِي: مَنْ أَنْتَ؟ وَ.. تُدْرِكُ وَتَعِي مَا حَوْلَكَ!

إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْقِطَ ذَاتَكَ عَلَى مَا حَوْلَكَ، بَلْ .. وَأَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَغْيِيرِ العَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ ....

إِنَّكَ (إِنْسَانٌ)، وَتَمْلُكُ (الإِرَادَةَ)!!!